الاخـلاص

☆☆☆

مبين

اختار الله النبي العربي العظيم محمد بن عبد الله الى جواره اضطرب نظام المسلمين في المدينة المنورة وتولاهم الخوف والذهول واخذ الشك في الرسالة الاسلامية المباركة يدب في نفوس ضعاف الايمان منهم فقام ابوبكر في الناس خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« ايها الناس . انه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ! ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ! » ومضى فاستشهد بالآية الكريمة « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وسيجزي الله الشاكرين »

وهذه الآية الكريمة نزلت على اثر معركة « احد » التي انتصر فيها اهل الباطل تحت قيادة ابي سفيان على اهل الحق تحت قيادة النبي الخالد محمد وقامت عند نهايتها الصيحة « ان محمداً قد قتل » فارتد عن الاسلام بعض ضعاف الايمان او الذين اساءوا فهم رسالته المباركة وآمنوا بمحمد لا بربه فجاءت الآية الكريمة تقرع هؤلاء .

وهذا يعني ، في معتقدنا ، ان الانبياء والزعماء يموتون او يقتلون ولكن رسالتهم لا تموت بموتهم او بقتلهم اذا كانت رسالة عدل وحق ونور بل تبقى حية حياة الله الذي لا يموت .

ونحن لو جئنا نلقي نظرة اجمالية على عرب هذا الزمان لرأينا انفسنا كما كان المسلمون بعد معركة « احد » المشؤومة . بل نحن اسوأ منهم حالا . في « احد » خسر المسلمون معركة مهمة وجانباً من سطوتهم ووحدتهم ولكنهم لم يخسروا زعيمهم العظيم . هـذا الربان الحكيم الذي عرف كيف يستفيد من النصر كما عرف كيف يستفيد من الخذلان والذي لم يخامره شك في عدل ربه وفي رسالته ، فما لبث ان قاد المسلمين من خذلان موقت الى نصر مبين ملأ العالم كله مجداً ونوراً وعرفانا .

اما نحن عرب هذا الزمان فمن انكد شعوب الارض حظاً في زعامتنا من كل لون وقد لا نتجاوز حد الصواب اذا قلنا ان زعامتنا هذه هي شر كل اعدائنا .

فجميل بنا ما دامت زعامتنا الحاضرة قد افلست افلاساً مخزياً وقادتنا الى الذل والهوان ، وما دامت جيوش الخوف واليأس تدب في نفوس ضعاف الايمان منا وتنفرها من العروبة الام ، جميل بنا ان نرجع القهقرى عبر السنين الخوالي لنستمد من خطبه ابي بكر الصديق الخالدة قوة نبثها في نفوس عرب هذا الزمان الضعفاء الذين بنوا عقيدتهم العربية على الظواهر لا المبادىء وان نقول لهم :

« ايها الناس . من كان يؤمن بالعروبة لانها ذات جيوش جرارة واساطيل ضخام وزعماء عظام فالعروبة ، مع الاسف ، ليست كذلك وخير له ولنا جميعاً الا يؤمن بها . ومن كان يؤمن بها لانها جامعة قومية روحية حرة تتجسم فيها انبل اماني العرب واشرفها واقدسهـا ثم ارتد عن ايمانه هذا لاعتقاده انها قد ماتت من جراء نكبة فلسطين فقد اثم اثماً عظيما وسيكون من الخاسرين . اننا نؤكد لكم جميعاً ان العروبة ما تزال حية ولن تزول الا بزوال الجنس العربي كله من الوجود . ومن ينقلب على عقبيه الآن ويهجرها لانهـا في محنة فلن يضرها شيئاً بل يضر نفسه ، وسيكون من الهالكين ! » .

ان العروبة ، ايها الاخوان ، رسالة كسائر الرسالات الروحية والقومية تمر بها ايام ضاحكة وايام عابسة . ايام عز وايام هوان . وليس في ايام هوانها ما يصمها بوصمة عار لا يمحوه نصرها النهائي . فليس غريباً ، اذن ، ان نرى العروبة اليوم في محنة . وليس في عارها الحاضر ما لا يمحوه نصرها الآتي ، هذا اذا جاهدنا في سبيله جهاداً شديداً متواصلاً تحت راية الحق والحكمة والعلم والوطنية القـائمة على اسس التضحية والصبر على المكاره والتفاني في سبيل مصلحة الامة . انما العار كل العار على الذي يتبرأ من عروبته ويتخلى عن قضاياها المقدسة . انما العار كل العار على اولئك الذين لا يعطون المروءة حقهـا والذين ينصرون اعداء العروبة عليـها بتهاونهم وبفتور عزيمتهم وبجور ايمانهم بها وبحيوية امتنا العربية !

ثم ان العروبة ليست لفظاً لا معنى له . انها : انا وانت يا اخي القارىء وملايين من امثالنا والطاعنون عليها من اخواننـا انفسهم !

فمن يشمت بالعروبة الآن لما حل بها في فلسطين يشمت بنفسه ، ومن يمزق عرضها بقلمه او لسانه يمزق عرضه هو بيديه ولسانه ! وما مثل الذين يخذلون العروبة فى هذه الايام العصيبة ويتبرأون منها لتفسخ شعوبها وتفرق كلمة زعمائها الا كمثل الجبان الذليل الذي يستحي باصله واهله اذا كانوا من الفقراء والضعفاء ولكنه يملأ الارض تبجحاً وزهواً وتيهاً اذا كانوا من الاغنياء والاقوياء . . .

من هم ابناء العروبة ؟

ر.ب

سائل يسأل : « من هم ابناء العروبة المخلصون ؟ »

وجوابنا : انهم اولئك العرب الاحياء الشرفاء الذين يشعرون بواجبهم نحو العروبة الام ويكرسون حياتهم لها : لرفع الظلامات عنها والهوان ولازالة البلاء العظيم النازل بشعوبها.

انهم جنود القومية العربية من ادباء وطلاب وفلاحين وعمال الذين يضعون العروبة فوق الجميع ويجعلون ولاءهم لها اولا واخيراً لا لطائفتهم ولا لاقليمهم ولا للاسر الحاكمة . .

انهم اولئك الذين يؤمنون بأن لا حياة لهم الا في حياة العروبة وبانتصارها على عداتها في الداخل والخارج وينظرون الى كل هناءة شخصية الا في ظلها كأنها سم زعاف . ويعملون باخلاص كأن لا سعادة لهم الا في اسعاد شعوب العروبة وتحريرها من مستعبديها ، اجانب او وطنيين!

انهم اولئك الذين اذا كانوا من اهل العلم ، حسبوا علمهم سلماً لمجد العروبة ولا علماً للعلم في حد ذاته او سبباً للاثراء .

واذا كانوا من اهل المال ، حسبوا مالهم وسيلة لحفظ كرامة العروبة ولرفع مستوى شعوبها ولاستغلال خيراتها لا وسيلة لتأمين هنائهم الخاص وبناء القصور على جماجم الفقراء والابرياء .

واذا كانوا ادباء ، حسبوا ادبهم واسطة لتحقيق اماني العروبة في المجد والسؤدد والعظمة لا ادباً « صومعياً » او دكاناً للارتزاق ولجلب الدنيا ارواء لانانيتهم .

واذا كانوا من اهل الزنود ، حسبوا زنودهم حجارة لتشييد معاقل مجد امتهم وتأمين مصالحها والدفاع عن حرياتها .

انهم اولئك العرب الكرام المعدن الذين يؤمنون برسالة العروبة لانها في معتقدهم رسالة الحرية والاخاء والعدل والذين كلما توالت عليها النوائب والمحن ازدادوا لها اخلاصاً وبرسالتها تمسكاً وايماناً . ايماناً وطيداً بان الله ناصرها على عداتها ان لم يكن عاجلاً فآجلاً لانه اله الحق والعدل والنور ! اولئك ، اولئك بعض ابناء العروبة المخلصين !

الاخلاص للعروبة

ر.ب

سائل يسأل : « ما هو محك الاخلاص للعروبة ؟ »

وجوابنا : انه ايمان قوي لا يتزعزع بالعروبة وبرسالتها الحرة التقدمية . وبانها وحدها تقودنا من كراديس الظلمات التي نتخبط فيها الى النور . وبان على نورها نستطيع ان نحقق مبادىء العدالة الاجتماعية التي تنصف الفلاح والعامل والاديب والصناعي والتاجر .

وهو ان نخاطب حكامنا مخاطبة الرجال للرجال . وان نصف فعالهم كما هي فلا تلتبس على الناس قيمهم . فنقول بصراحة وجرأة عن الحاكم المخلص الوطني التقدمي « انه حاكم مخلص وطني تقدمي » ونقول عن السائس الاقطاعي الخائن انه « سائس اقطاعي خائن » ونقول عن الحاكم المستبد المغرور انه « حاكم مستبد مغرور » سواء عندنا أتحدر من اسرة نبيلة او اسرة اقطاعية او اسرة مالكة او كان من الذين يضعون على رؤوسهم او يلفون حولها رموزاً شريفة .

وهو ان نضع اصابعنا على مصدر الداء في كيان امتنا وان نقول بكلمات صريحة وجريئة : هنا ، هنا مصدر الداء والبلاء ثم نسعى بجزم وعزم الى استئصال شأفته بلا رحمة ولا خوف .

وداء العروبة هو الثالوث غير المقدس المؤلف من الطائفية والاقطاعية والاقليمية المؤيد بمحالفة شريرة من الاقطاعيين والمتمولين .

وهو ان يشعر كل منا ان عليه شخصياً واجباً مقدساً نحو امتنا ونحو الاجيال التي لم تولد بعد فيجاهد ويجاهد ليستر عري العروبة ويمحو عارها ويكلل جبينها باكاليل النصر والمجد .

هذا ، هذا هو الاخلاص للعروبة . وهذا ما تطلبه العروبة من ابنائها المخلصين !

نيويورك — راجي الظاهر

من سجل الحب والموت

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

الا تعالي حدثيني ، ما الشوق وما الامل ،
ما الحاجة وما الحنين ؟
اخبريني ما الحب وما البغضاء
وما البكاء حين لا تجري الدموع ؟
ما الجهد في سبيل العلم ، وعناق ما خلّف الدهر من اشلاء وجيف ؟
ألا بربك حدثيني ما اللذه التي تدوم ،
وما الالم الذي يروي ويشبع ،
والشهوة التي تسري وئيداً في الجسد
والصلاة من اجل كسرة الخبز نطلبها كفافاً كل يوم ؟

***

كل لحظة من حياتي ساحة عراك بين شهوات مبهمة ولوعات قاتمة ، وبين كل فكرة واخرى يكمن دوماً انكار ، واعراض ، وابتسامة الساخر من نفسه .

لقد أحببت حتى بكيت ، وتألمت في جسمي للشهوة التي في روحي. لقد رأيت رؤى يزخر بعضها بنساء جميلات يرقصن مع الرياح ، ويزخر بعضها بنساء يلبسن السواد ، ويزعقن جوعاً بافواه جافة مصفرة ، وينعين موتاهن. وانسل الرجال من حولي ، وعيونهم صفراء بليلة ، ينظرون الى اقدامهم كأنما الخوف قد ملأ الارض وبقيت مستيقظاً اتقلب على فراشي ، ووريت وجهي بين الوسائد الناعمة وانا اقول : « اريد ان اغفى ، اريد ان اغفى » .

تتوهج طحالب البحر الخضراء في رؤياي ، وتمر بي النساء الجميلات ثم يعدن في اسمال بالية ويبكين ، ثم يتحولن الى طحالب على الرمال الاسفنجية لجوعي وعطشي .

لقد احببت وشبقت وبكيت حتى ذهلت ، فرحت افكر في حكايات عجيبة كتبت على اوراق الورود الناعسة ، وانتصبت الورود وقالت شعراً ورقصت . والورود التي شاهدتها مرة على مسافة من بيتنا وتمنيت لواقطفها اتت تسعى الي الآن تمرح ضاحكة ، وأذابت حياتها على شفتي . تلك حكايات الجنيات فالجنيات يخرجن من قبور الفقراء حيث تموت النساء من الحمل المتواصل دون ان يعرفن وهج الجمال ، وتطلع الجنيات من الورود المشتهاة التي تتدلى على الجدران العالية حيث لا تدركها الايدي.

لقد استنفدت الجنيات والورود قصصها وقضت حياتها راقصة على شفتي . واما انا فرجعت الى الحب مرة اخرى .

***

عندما لمستني المرأة نظرت اليها ولم اعرفها .
لمستني وتكلمت برقة ، غير انني اسقطت رأسي واستغرقت في النوم . ولكن لما رأيتها في حلمي عرفتها وتبعتها ، فاقتادتني بين اطواء الظلام وهي تخاطبني برقة وتلمس شفتيّ .

ورأيت الظلام يخيم حولنا كشجرة كبيرة التوت على نفسها وتهدلت فروعها واخفت جذعها . ولما لمست شفتيّ مرة اخرى جعلت الشجرة ترفع اغصانها بلطف وئيد ، والقى النور من خلالها علينا شبكة من الضياء . وكانت الاوراق فضية وخضراء تتأرجح وتعبث مع ظلالها بسكون.

ثم وجدنا الطريق تمتد امامنا ، فخرجنا ورأينا الشمس. وعندها افقت ولمستها.

ثم نمنا سوية ، ورأينا الفجر متردداً يكشف عن جسمينا. وعلى البعد سمعنا التلاميذ يلعبون ، ونحن نتشاطر الهوى والنوم. ثم نستفيق لنأكل ونغني ونرقص ، ونتشاطر الهوى والنوم مرة اخرى.

عندما لمستني المرأه اول مرة انكرتها وانكرت نفسي . بيد انني لما رأيتها اول مرة اخذت وجهها بين يدي ، وهي تكاد تمانع ، وقبلت فاها .

لقد عرفتها ومع هذا انكرتها .

***

يوم بقيت وحيداً لازمتني افكار الهوى .
ذهبت المرأة وحالت الطريق الطويلة بيننا ، ولكنها التفت حولنا وجمعتنا في عقدة تحولنا فيها الى فكره واحدة . وانعكست على جدران البيوت الضخمة التي فغرت افواهها وملأت جوانب الارض .

---

* كتبت « سجل الحب والموت » باللغة الانكليزية في اواخر سنة ١٩٤٣ ، عندما كنت في لندن والحرب على اشدها . وقد نقلته مؤخرا الى العربية وحاولت ان ابقي على الروح الاصيلة فيه ، لانني شعرت الآن – بعد مضي ست سنوات طوال – انني بكتابتي هذا « السجل » ودعت المراهقة بما فيها من ملاذ وألم ، لكي اقبل على كتابة من نوع آخر ، تتسم بنضج الشباب ، وتتساوى فيها قيم الالم واللذة : وتشف عن خيبة آمال الصبي ، ولكنها خيبة يرافقها حب متزايد للحياة باجمعها ، وعشق لعنفها وتقلبها .

وبينما راح الناس يصرخون في طلب المساواة والموت ، ومن ورائهم آخرون يعصرون من جوعهم دنانير الذهب ، اندفعنا لا نطلب شيئاً سوى الحب ، وقد وقف امامنـا شبح الموت الشامل كمجموع ابنية عالية صعرت مداخنها الخد في وجه القمر الباهت ، ثم اهتزت بعنف ، وتجشأت ضباباً قاتماً انتشر حول القمر .

اما نحن فرحنا نتبادل الهوى ونسمع اخبار الموتى . فلما ادرنا عيوننا صوب القمر المضنى ، كنا قد شفينا غليل الحب في جسمينا ولكن القمر كان اغبر،وقد رسم الحزن حوله دائرة مطبقة عليه.

اختنق الليل بدخان الموت. لقدذهبت المرأة ، وبقيت وحدي افكر في حبي وفي موت الآخرين .

***

اله

عروق الجسم نفسها لتتاوى بالانتظار .

ها انا واقف في المحطة مع رجال ونساء تاوت عروقهم كعروقي ، ننتظر القطار المتأخر الذي يحمل لكل حبيبه : نرقب نهاية الخطوط الحديدية ، ونجهد عيوننا بالنظر الى الفجوة الـتي سيدخل منها القطار الصاخب وقد امتنع عن الظهور . وانـا لنحس بالانتظار ثقيلاً في احشائنا كالرصاص، لان القطار قد لايأتي ابداً ، واذا اتى فلعله آت بدون الحبيب. وكما نريد من الازهار ان تنفجر عن غرف معطرة ، ومن سيقانها الهيفاء ان تتحول غيداً واسعات العيون ، هكذا نرقب خطوط السكة الطويلة ونشتهي لو تـلد حريراً وفرشاً وثيراً ، ونود لو جاء الحبيب في قطار سريع الانطلاق كحمائم افروديتي ، ولعل البخار حينئذ سيغني والمحركات والعجلات سوف ترن كأوتار الكمان :

« جميلة هي الحبيبة ، وكل ما تراه .

يجب ايضاً ان يكون جميلاً ».

ولكن اذا طارت الحمائم وجاءت دون افروديتي ، فسوف نذم بياضها وننكر عليها حسنها . واذا وصل القطار دون المرأة المنتظرة ، فما الذي نحن فاعلون الا ان نتألم للحرير الذي لم نلمسه والجمـال الذي لم ينشق عنه الدخان والنقيع ، والاوتار التي لم نسمع الحانها في العجلات ؟ لقد جاء القطـار ، وتفرق الجمع ، وبانت المحطة كأم ولدت طفلها ميتاً .

تفرق الجمع مخلفاً وراءه المولود الميت ، ولكن وجهاً مستوحشاً بقي يجول في المكان الواسع تجرى الرياح بين جوانبه ، ينتقل بين اكوام الحقائب والصناديق والقمامة . هل من احد سمع صفارة اليأس ؟ هناك في المحطة يجمع اليأس نفسه في انبوب اسود كالقار ؟ ويصفر بألم دون طائل . لماذا اذن اطيل الوقوف وأصاب بالزكام؟ فلاذهب .

يا لله كيف كان حبنا ! كثيراً ما بكت وهي تقص علـيّ حبها . فاذا سمعتها زدت عناقي ضغطاً وقبلاتي شدة ، حتى لم يعد يجدي العناق او القبل . فالتعبير عن النفس لا يجري دائماً كالماء في النهر ، بل يفيض احياناً تحت الارض ، ثم ينطلق في الهواء لكي يتساقط قطرات صغيرة. ولهذا لمست خديها لمساً خفيفاً ارق من يد امرىء غريب ، فشعرت انني تناثرت قطرات صغيرة ، فاستحال كياني الى لمسات دقيقة تكاد لا يحس بها ، وملء كل لمسة منها عرام الاستسلام.

ثم اصابت جسمينا شهوة احتدم لهيبها فاصبحنا قطعة من الجمر ، واذا النار تجفف الدموع ويتوهج لظاها راقصاً في العيون . وانقضت ايام لم ينطفىء فيها جبانا ، فطفرنا كاللهب واضأنا الكون ، ورقصنا بخفة حتى كأن اقدامنا لا تمس الارض ، وكأن نارنا تندفع في الهواء . ايتها النيران ، ما اشد برد الدنيا ، فهي لا ترى منك الا الدخان ! وها أنا يلفني البرد الآن بانفاسه — او لن يتوهج جسمي باللظى من جديد ؟ او لن ينعكس بريق الجسد في عيني عما قريب ؟

لا يعرف الانتظار لنفسه نهاية . فقد تجمع الجمهور مرة اخرى لتتاوى عروقهم في المحطة : ولكن مهلاً ، اي شغل لي معهم ؟ انهم ليسوا بأسعد من ذلك العاشق الذي بعد ان لم تعد الدنيا حائلة بينه وبين غادته ، انتابها المرض فلم تجيء اليه . اما هذا او ذاك ، والفراق واحد — والناس ينتظرون : ويا لقبح خيبتهم ! انهم لا يعرفون من الوردة الا شذاها ، والقطار يقهقه طول الطريق بين كل بلدة واخرى تنخر الفاقة في احشائها ، فيرتطمون بالصناديق والحقائب في المحطة ، والريح تجري بين جوانبها ، ويتساءلون بحزن : « ترى لمن هذه الامتعة كلها ؟ »

***

جلسنا

على الشاطىء ، وقالت لي انها حلمت بانها البحر . فقدرأت قارباً يطفو عليها ، ويقلق هدوءها المترامي فرفعت امواجها وادارتها لكي تدفع القارب عنها ، حتى اصطدم بصخر الساحل وانقلب بعنف سافله عاليه ، وعندها عادت الى الدعة والسكينة ، وجعلت زرقة امواجها الصافية تتألق مستسلمة ، وتدنو من الرمال لتنتشر عليها . ثم قالت انها رأت نفسها قد استحالت ، واذا هي تخرج من بين اللجج وتجد نفسها على الشاطىء عـارية ، والقارب راكد ساكن كجثة هامدة ، بينما وقفت هي كسحابة في شكل انسان . ولما نظرت الى جسمها اعجبت بجمال نهديهـا ، وخشيت عليهما من ملاحقة الشفاه القذرة وفرت هاربة .

جلسنا على الشاطىء وتحدثنا عن البحر، مصدر الحياة ورمز الوجود الازلي. وجالت في نفسينا خواطر الموت في البحار، وهل ننسى اولئك الذين دفعت بهم بلادهم الى ثبج المياه ليكونوا قرباناً يهدىء غضب اليم وثورته؟ فما الحرب الا اغنية وحشية تغنيها الحياة عندما تبغي تأكيد جبروتها بمعانقة المنية. واذ تعود الحياة الى البحر، وقد انسحقت تحت وقر كبريائها، تقترن بالروح الوحيدة التي تماثلها. غير ان البحر مثل الله: عظيم الاتساع ولا يكترث.

وتحدثنا عن القلب الانساني الذي يعيش في صورته، وعن الصخور التي لعنها البحارون منذ الازل، واللآلىء التي استقرت في اغواره مثيرة جشع البشر.

وعندما خيم الليل انطلقت تركض على الرمال، وكأنها امست كالحلم الذي قصته علي — امرأة لفظتها الامواج عارية، وترقرق شعرها وراءها وانا اعدو خلفها على الكثبان الناعمة، وفخذاها في الظلمة الزرقاء كسهام من الشفق. وراح الموج يداعبنا، يرتفع على سيقاننا ثم يسقط على اقدامنا، ثم يتراجع ويلملم عزمه ويهاجمنا مرة اخرى. ولما ادركت باي عنف اشتهيها، انقلبت علي وقد ادلهمت عيناها بما في اللجج من هياج حسي، فوليت لها ظهري فاراً منها. غير انها جدت في أثري تضحك وتقول: «لقد استعبدتك الحسناء التي لا ترحم!» وتقذفني بأوراق طويلة من نبات البحر كأنها توقعني في حبائلها. ولما سقطنا على الرمال الاسفنجية كسانا البحر بمياهه لحظة، ثم هدهدنا بتلاوة رقاه السحرية الطويلة. وما تقهقر عنا حتى كنت قد اترعت حواسي بجمالها الى ان طفحت. فكان كأنني غرقت في سحابة اتخذت لنفسها شكل انسان. ولما تلاشت السحابة، بقينا منطرحين بلا حراك، يلفنا هدير البحر المكتوم، لا نسمع ولا نلمس. فكنا كجثتين، ولكنهما تنبضان باشد ما في الحياة من قوة. ولعلنا امسينا حينئذ لاول مرة بحراً هو رمز الوجود الازلي.

***

هبت نفثات الهوى على وجهي حارة من افواه كثيرة كنت رأيتها في الطريق بعضها ضاحك وبعضها مزموم، ورأيتها قرب وجهي تتحرك بكلمات لم ادرك معنى لها، وشعرت بوجودها حولي في قاعات السينما تهمس بأسرارها الصريحة لعلني اسمعها.

جاءت تلك النفثات حارة على وجهي، كهبات ريح قائظة، فتراخى لها جسمي كالجالس على عتبة الباب بعد ظهر يوم من ايام تموز، فكنت كمن يستسلم للنوم والنسمات الملتهبة تلتف حوله، فحلم احلاماً لا يستبين فيها شيئاً سوى انه تتقاذفه ايد واجسام ووجوه، وفي اذنيه كلام لا ينقطع — لعله شكوى او غزل او شتائم. ففي كل نفثة من نفثات الهوى يد تداعب واخرى تتحدى وثالثة ترمز بحركاتها الى البغضاء او الاستسلام. وكان ان رأيت السنين الماضية كأنها اسطورة خلقتها من اجل شعري، وخيل الي ان النساء اللواتي احببتهن لم يكن الا من صنع وهمي. وها هن جميعاً قد اتين يتنفسن على وجهي، وقد زاد عددهن اضعافاً بمن رافقهن من نسوة الطرقات وقاعات السينما وردهات الكنائس، فجعلت اياديهن تتقاذفني كما تتقاذف الامواج اسلاب الحطب في يوم شديد الحر، فلا اعرف اهن يبغين الحب مني أم النسيان، المداعبة ام العذاب.

وحينئذ ادركت ان السنوات قد مرت سراعاً، وخلفت في ذهني كل هذه الوجوه والايدي، وتذكرت الزهور التي كانت تحملها هذه الايدي وصاحباتها يقلن: «ما ارق بشرة الشقائق، وما اشد وهج احمرارها! انظر ما ارق انفاسها رغم ما فيها من شهوة مترفة خفية، هي لذة جسدية ولكن بلا خطيئة. اما انفاسنا فغليظة بما فينا من ادعاء بالشهوة، والعذرية متنكرة فينا». ثم تقول احداهن: «ولكن من منا يجرؤ على ان يصوغ حياته على غرار زهرة نحيفة تستنفد حياتها في فصل من السنة؟».

تلك هي المرأة التي اسمع صوتها دائماً بين اصوات النساء، وارى وجهها جلياً من بين مئات الوجوه. وحين تتقاذفني الايام والتجارب ويسوقني الاغراء بهمسة، اشعر انني انما اتقلب بين ذراعيها، واقبل على دعوة شفتيها: اعطيتها شقيقة في الصباح فحملتها الى ان ذوت وتدلت على نهدها. غير اننا لم نقف لنفكر فيها بعد ان اغدقنا الطف الاطراء عليها. فقد كان الحب كجواد ابيض ينهب الارض بنا من رابية الى رابية، فما نكاد نرى شيئاً حتى نخلفه وراءنا، ونرى شيئاً آخر. وتنطلق افكارنا كالشرر من تحت حوافر الحب السريع، وكالشرر تتلاشى. وقالت: «هل يخطر في بال الشقائق ان تفكر في حياة غيرها من الزهور في الربيع؟» لقد كنا كالزهرة البرية التي تعيش على ما يبعث الثرى في ساقها من عصارة، وما يدور في قلبها من حركة خلاقة...

ولكن فصلنا انتهى، وكان علينا ان ننتظر عودته مرة ثانية. ما اشد ما كان الم الموت المؤقت ريثما بدت تباشير الحياة من جديد! انهض يا حبيبتي. هذه الرياح تهب، والعام العتيد قد اقبل!

***

ازلية ما الذي تبغيه مني هؤلاء النسوة، وقدودهن تميس وأيديهن تلوح لي؟ لسن جميعهن الا صوراً لا تحصى للمرأة التي تدعوني عبر الجبال والوهاد، عبر الانهار والبحار، عبر

فن النقد

بقلم سهيل ادريس

لا احسب احداً يعدو الواقع حين يذهب الى ان النقد الادبي في البلاد العربية يجتاز الآن اشد محنة يتعرض لها ميدان من ميادين الادب، فالحق انه لا يزال في طور بدائي، وان الذين يمارسونه كما تنبغي ممارسته قلة تكاد تضيع في هذه الكثرة المتلاطمة التي لا تتبع غير الهوى، ولا تختط لنفسها خطة، ولا ترسم هدفاً. واحسب ان اشد ما نفتقر اليه انما هو الضمير الادبي، هذا العامل الوحيد الذي يشعر الناقد بعظم التبعة الملقاة على عاتقه حين يواجه نتاجاً ادبياً.

تلك حقيقة اوحى لي بها واقعنا في النقد بعد مطالعة مقال قيم للاديب الفرنسي المعروف اميل هنريو عضو المجمع الفرنسي. ويشير هنريو في مستهل هذا المقال الى تعريف الناقد الادبي بانه الرجل الذي اتخذ مهمة له، بعد ان تعشق الادب، ان يحكم على نتاج الآخرين. غير ان ضعف هذا التعريف يبين لدى النظر الى ممارسة المهنة. فهناك النقاد «العقائديون» الذين يتحدثون باسم الحقيقة التي يدافعون عنها، فيبتون باسمها ويحكمون ويردون كل ما لا ينسجم مع عقيدتهم والدين الذي يدعون اليه، وهناك النقاد المجردون والاحرار الذين لا يعنون الا بان يتحدثوا عما يحويه النتاج الذي يواجهونه، ليشيروا الى قيمته من الوجهة الادبية فحسب.

ويذهب اميل هنريو الى تفضيل النوع الثاني من النقد، والى ان الناقد يجب ان يتخذ دور «الرصيف» بين الكتاب والجمهور، فينصح بقراءة ما اثار اهتمامه ويشير الى ما قد يحويه كتاب ما، وينوه بكاتب جديد ذي موهبة، لينتهي آخر الامر بتعيين موضع المؤلف والكتاب من الاسرة الفكرية الكبيرة، ويحاول ان يصدر في ذلك حكمه.

ولكن باسم من يصدر الحكم؟ باسم «الحقيقة» يقول بعضهم، اولئك الذين نصبوا انفسهم «بابوات» معصومين. ولكن هنريو يقول ان الاحكام لا تصدر الا باسم الذوق الشخصي، وباسم الاحساس الخاص والثقافة والصلاحية التكنيكية، وان هذه الاحكام صالحة ولا ريب شريطة ان تعلل اسباب القبول فيها او اسباب الاعتراض. ومن البديهي ان المرء يجيد الحديث عما يحب اكثر مما يجيده عما لا يعجب به. والناقد الحق هو الذي يستطيع ان يجيد الحديث عن كتاب يعترف بانه جيد حتى ولو كان على طرفي نقيض من عقيدته وذوقه، لان المهم قبل كل شيء ان يفهم الناقد ليتاح له ان يساعد سواه في الفهم. فالقضية هي قضية نبل وشرف، لانه ليس من الضروري ان يكون الخصم على خطأ. على ان من واجب الناقد احياناً ان يغضب ويثور حين تهز امامه «موهبة» مزيفة اذا صح التعبير.

ويرى هنريو ان على الناقد الادبي ان يكون مؤرخاً ادبياً كذلك، كما كان شأن (سانت بوف) اكبر النقاد اطلاقاً. ويعود الى الحقيقة فيردد ان الناقد لا يتكلم الا باسم «حقيقته» هو، ولا

الايام التي لا ترحم.

ولم يكن لدي الا جواب واحد على ذلك النداء الذي جعلت اتبين معناه. سأصغي اليه واصيخ له، واذهب حيثما يريدني.

فلجأت الى الموسيقى، وجعلت اعزف اسطوانة بعد اخرى. لقد كانت الموسيقى الوسيلة الوحيدة التي ارضي بها هذه الاخيلة المتجمعة في ذهني، وهي تحملني أنى شاءت المرأة الملوحة لي عبر المكان والزمان. فقد اجتمعت في تلك الموسيقى عواطف اجيال وقرون، بما فيها من افراح وذكريات عارمة، وموت ورعب كثير وكانت لذة الشعور بالنغمات وهي تحطم الحس بعنفها، كأنما عصارة الحياة نقلت الى الدم من جديد، بعد ان كانت خواطر الموت تراوده.

فوجدت نفسي اطوف في الفضاء كالرباب الناعم، ثم انحل الى مواد غير مرئية كلها آذان تتسمع. ولقد رأيت نفسي ايضاً تنهشني انياب الوحوش، وتصورت الغيد ينحن على موتي. ولقد رقصت مع العظام العارية، ورأيت شفتي تقبلها اطياف مريعة غير ان الموسيقى كانت خير ما في الوجود، لا يوازيها جمال مهما تفنن، ذبت فيها حتى غدت الدنيا كنهر عظيم من الفتنة لا ينقطع سيله وذراتي على متن امواجه.

او هل يرقصون على التلال؟

اذن نذهب هناك. وعندما يفرغون من الرقص ويجلسون تحت الاشجار ليقصوا اخبار احزانهم، فسوف نجلس معهم ايضاً وستسمع الابواق من وراء التلال. ولعل المدافع ايضاً ستسمع، غير ان الابواق ستسمع، ان عاجلاً او آجلاً. ولسوف تتحرق سيقانهم الى القيام لتجيب على ندائها. وسرعان ما يحولون آلامهم جميعاً الى رقص عظيم تتحرر معه نفوسهم، وتنطلق فيه اقدامهم. رقص جميل يعم الدنيا بأسرها.

انهضي يا حبيبتي ولننضم الى الذين هم على التلال يرقصون.

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

يستطيع ان يصدر حكماً الا من خلال ما يعتقد ويعرف، وهكذا ليس من الممكن ان يكون هناك نقد مجرد، حتى ولو كان الناقد عقائدياً ؛ فهو يتكلم ويحكم ويمدح ويدين وفقاً لعقيدته التي اختلقها كلها او تبناها. وقد كان هذا شأن « برونتيار » الذي كان يبت بالامور من فوق ، كما لو انه كان يملك القانون في جيبه ، او كما لو انه عين ناقداً بمرسوم من العناية الالهية ليتحدث باسمها عما هو صالح وما هو غير صالح .

وبوسع النقد ان يكون هو نفسه فناً بقدر ما يكون الناقد كاتباً موهوباً ذا اسلوب سائغ ، غنياً بالافكار حتى يخلق للقارىء جواً من التفكير ، ناعماً بثقافة واسعة لا غنى عنها من اجل المقارنة مطلعاً على التاريخ والاحداث الراهنة ليستطيع ان يعرف الى اي حد يترجم الكتاب الجديد عنها ويمثلها . ثم ينبغي له ان يتخذ لنفسه مثالا يتيح له ان يحكم . والتجرد صفة لازمة لا ريب فيها، وكذلك النبل الذي هو فضيلة بدائية تجعل الناقد اميناً لا يقول الكاتب مالم يقله ويشير الى الامور كما يصفها تماماً . ويضيف هنريو الى ان الناقد ينبغي ان ينعم بالذوق ، على الرغم من الخلاف القائم حول مفهوم هذا اللفظ، وهو يرى انه التمييز الدقيق والشعور الصادق بمعنى الحقيقة والجمال الادبي .

والجمال الادبي هو الذي يحتاج في الحق الى تعريف . فمهما كان الناقد موضوعياً واياً ما كان اعتماده في الحكم على التأثر الخاص ، فلا بد له من ان يعود الى عدد من القواعد. وهذه القواعدلا تخرج في رأي هنريو عن ثلاث : الجمال الادبي والجدة او الابتكار والحقيقة الخالدة . اما الجمال الادبي فتعبير مختلف المفاهيم ،فهو عند ستاندال الحقيقة والسرعة في الاشياء المقولة ، وليس هو كذلك عند هيغو او راسين . وهو يتضمن ولا ريب العلم والغنى في اللغة وحضور الاسلوب الذي هو ميزة الكاتب وطابعه الخاص ولونه وحركته وتنفسه . والحق ان الجمال الادبي لا يخضع للتعريف ، وانما هو شيء يحس ، فغالباً ما يظهر كاتب جديد لم يكن معروفاً من امره شيء ، فاذا هو يفرض نفسه ، حتى لا يشعر القارىء الى اين يقوده بعد ان يقرأ له بضعة اسطر . . وكل ما هنالك شعور واضح للقارىء بانه ازاء كاتب !

والآن ما هي العلاقة بين الناقد والجمهور ؟ ان عليه ولا شك ان يعود بالقارىء الى المؤلف المجهول او الذي كان موضع التنكر بغير ما حق ، كما ان عليه ان يحمي القارىء من الذين يسخرون منه ويستهزئون به ، ويحميه من الدعايات الطنانة . . ومن واجبه كذلك ان ينعي على الذوق العام استهتاره ، لانه هو الذي يؤدي الى خلق الكتاب الفاسدين . واذن فهو مدعو لان يربي احياناً الذوق العام .

ولكن هل النقد المفيد للقارىء ،مفيد كذلك للمؤلفين؟ يقول هنريو : انه عرف كثيراً من المؤلفين الذين يرسلون كتبهم الى النقاد الذين يمدحونهم . اما الذين يناقشونهم ، فيحسبون انهم اصحاب نوايا خبيثة او يعتبرونهم سخفاء . والواقع ان اهم ما يفتقر اليه كاتب يقرأه الناس كثيراً هو ان ينقد نقداً صادقاً ليعرف كيف يتفادى اخطاءه . ولكن ليس هدف الناقد الحق ان يظهر الاخطاء فحسب، ان عليه ان يذهب الى ابعد من هذا : ان يقرأ بين السطور غاية المؤلف ، ان يكتشف في الكتاب اكثر مما خيل للمؤلف انه وضع فيه ، او اقل من ذلك . ولا ريب في ان المؤلف سيفيد من ذلك كله فائدة جلى . ولعل مما يبرر وجود النقد واهميته انه كثيراً ما اضاء للمؤلف فكرته الخاصة ، وما ينتظر منه ان ينتج. ان(بوالو) لم يخدم الادب بكتابه « الفن الشعري » اكثر مما خدمه حين دفع موليير في طريقه قائلا له«برافو موليير . . هذا من الكوميديا العظيمة.» ولا شك في ان موليير لم يكن بحاجة الى ذلك ليعرف ما يعمله،ولكنه لقي التشجيع . . انها ضربة السوط في الهواء حين تنطلق الجياد .

وبعد ، فان على الناقد الحق ان يقرأ كل شيء . ولكن هل هذا ممكن ؟ انه مفيد على اي حال . فقد يكون الكتاب جديراً بالقراءة صفحة صفحة ، وهذا ما يجعل الحكم عليه اقرب الى المنطق والعدل ، فاذا لم يكن كذلك ، فان الناقد يأخذ عنه فكرة كاملة وعن مؤلفه ، وهل لديه من الامكانيات ما يجعله جديراً بان يقرأ في المستقبل ام لا . . .

واخيراً ، فان على الناقد الا يكتفي بنقد الآخرين . عليه ان يراقب نفسه ويحكم عليها ، ولا يستعمل عبارة « كتاب رائع » الا وهو يعنيها . . عليه ان يشيد بالموهبة حيث كانت ، ويحارب السخف حيث لقيه !

على هذا النحو من الدقة والاحساس بالواجب ، واعتبار الضمير الادبي يفهمون رسالة النقد في اوروبا. وانت لن تعدم من النقاد من يشيد بكتاب لا يستحق ان يشار اليه ، كما انك لن تعدم منهم من يهاجم كتاباً خليقاً بان يقوّم في طليعة الروائع . ولكن هؤلاء قلة ، لان النقد قد اصبح رسالة ذات تبعات ثقيلة . .

أفنمضي نحن، في الشرق ، في التنكر للضمير الادبي، وفي اعتبار النقد لوناً من الوان الارضاء ، او شكلاً من اشكال التشفي ؟

باريس

سهيل ادريس



الاميرة العراقية فخر النساء زيد تعرض فنها في باريس

بقلم جميل حمودي

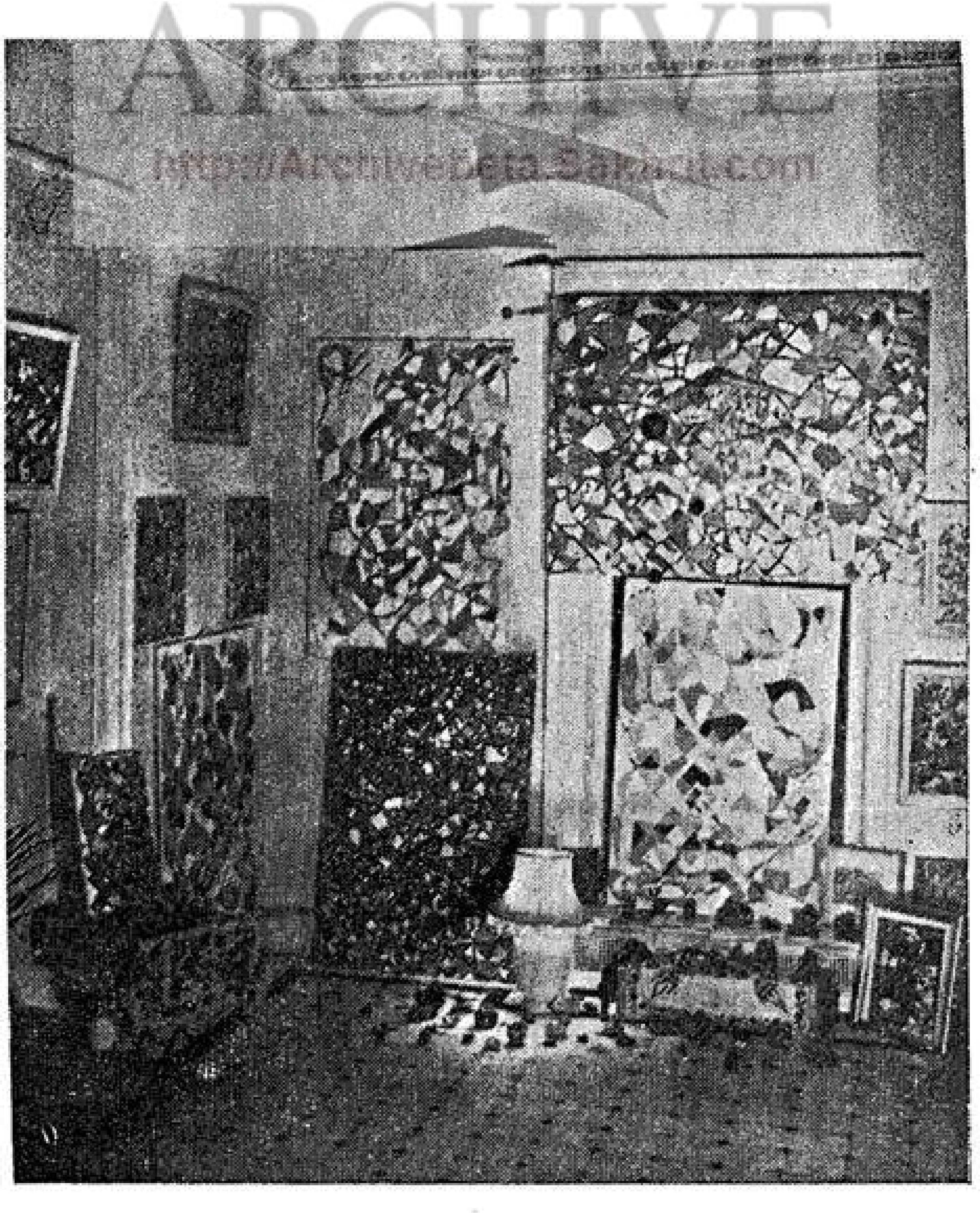
●

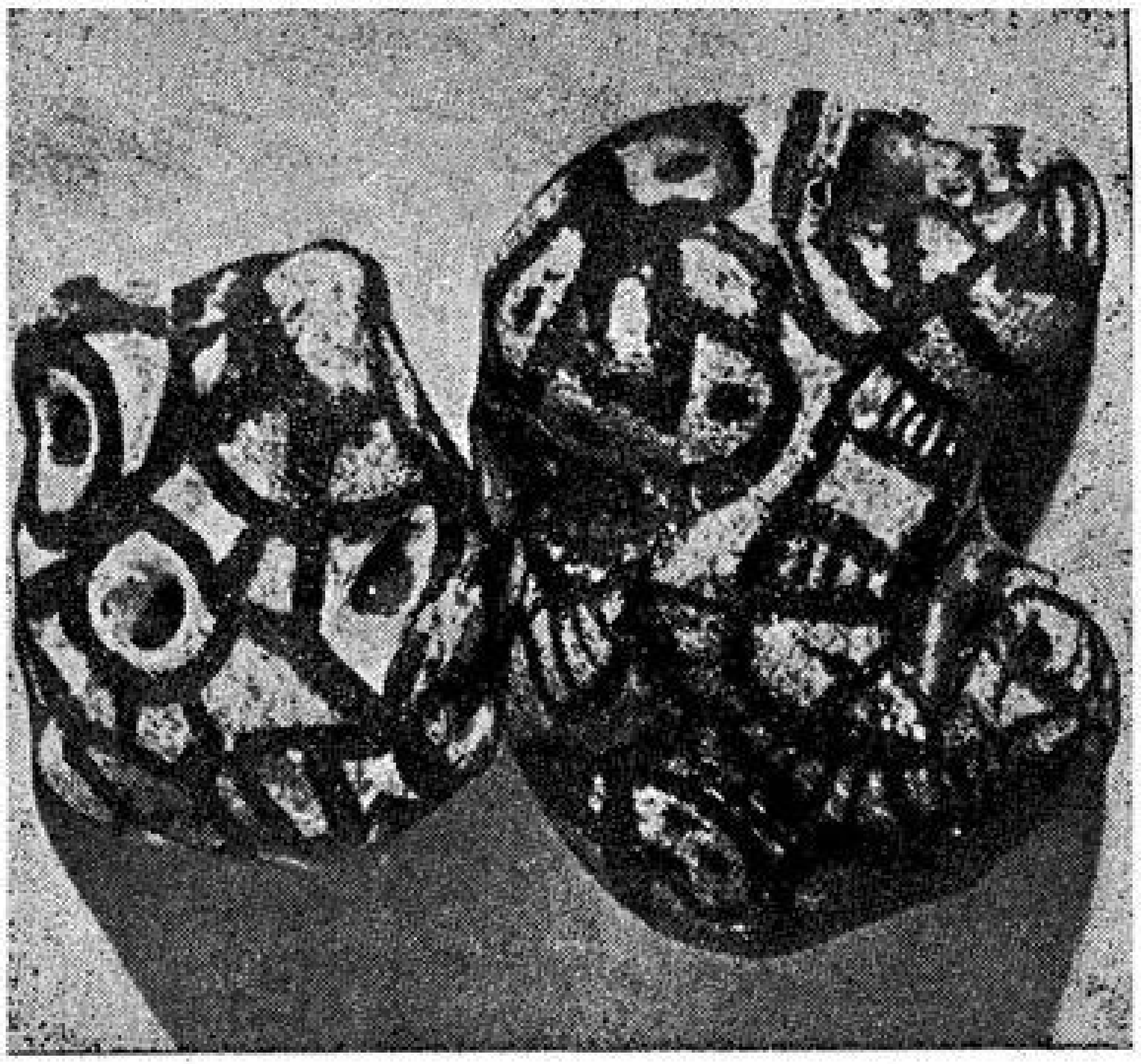
مرة اتلهى بالحديث مع فنان من الذي يسمون انفسهم بالـ (abstraits)، والفن الـ — abstrait — معناه على وجه ما (الفن المجرد) او (الفن التجريدي)، فقلت له : هل تعلم يا صديقي ان هذا الفن تحلق على يد العرب في العصور الوسطى بسبب منع الدين الاسلامي لتصوير ذوات الروح ! .. قال : ومن يدري ! فلعل ايصاله الى روعته الحق سيكون على يد العرب في العصر الحديث ايضاً ! ..

ولم اكن حينذاك اعرف شيئاً مفصلاً عن الاميرة الفنانة فخر النساء زيد حرم سمو الأمير زيد بن الحسين سفير العراق في لندن ، على انني فوجئت في منتصف شهر ديسمبر الماضي بخبر معرضها الذي اقيم في كالري كوليت آلندي – Collete Alendy – الكائن في اجمل احياء باريس على جانب من غابة بولونيا الشهيرة وفوجئت بعد ذلك بطلبها رؤيتي والتعرف علي .

وعند زيارتي لمعرضها رأيت المصور الاسباني الشهير بيكابيا – Picabia – وهو من الآباء في (الفن المجرد) ، فسألته وانا ادخل شاعراً كأني في حديقة بسطت على ارضها الوان تنفث روح الشرق : ماذا يرى فناننا الكبير في هذا الفن الشرقي ، كيف يجد انتاج فنانتنا العراقية ؟ ! . فشرع كعادته يحدثني عن رأيه بإيماء شديد الاقتضاب فهمت منه انه معجب بالجرأة والشجاعة الخاصة التي لم تكن لتعوز فنانتنا للظهور بمجموعتها الرائعة من الصخور والاحجار الصغيرة الملونة ، الى جانب لوحاتها الزيتية والمائية ذات الطابع الشرقي المشبع بالافكار العميقة والتي تذكر رائيها بذلك الفنان العربي القديم الذي فهم كيف يصوغ بفكره وبيده روائع بغداد القديمة والاندلس وغيرها من آثار المدنية الاسلامية .

وتعرفت على الفنانة في معرضها ، ثم زرتها بعد ذلك في أوتيل رتز Ritz القائم في اجمل بقعة من ساحة فاندوم Vandome بالقرب





من الاوبرا . . وهنا فهمت جيداً كيف انها تطوي في حناياها روحاً فنياً كبيراً سيجعل منها بدون أي شك قائداً مهماً للحركة الفنية في الشرق الاوسط بصورة عامة وفي العراق بصورة خاصة .

نعم ايها القارىء الكريم انني اقدم اليك فنانة عظيمة الشأن جديرة بكل اعجاب وتقدير ، فنانة « تترك — كما يقول الكاتب الفرنسي الكبير اندريه موروا عنها في مقدمة دليل معرضها — تترك لنفسها الداخلية — الفاهمة المتمرسة بالعمل الفني — ان تتكلم عنها » خطوطاً واشكالا وألواناً .

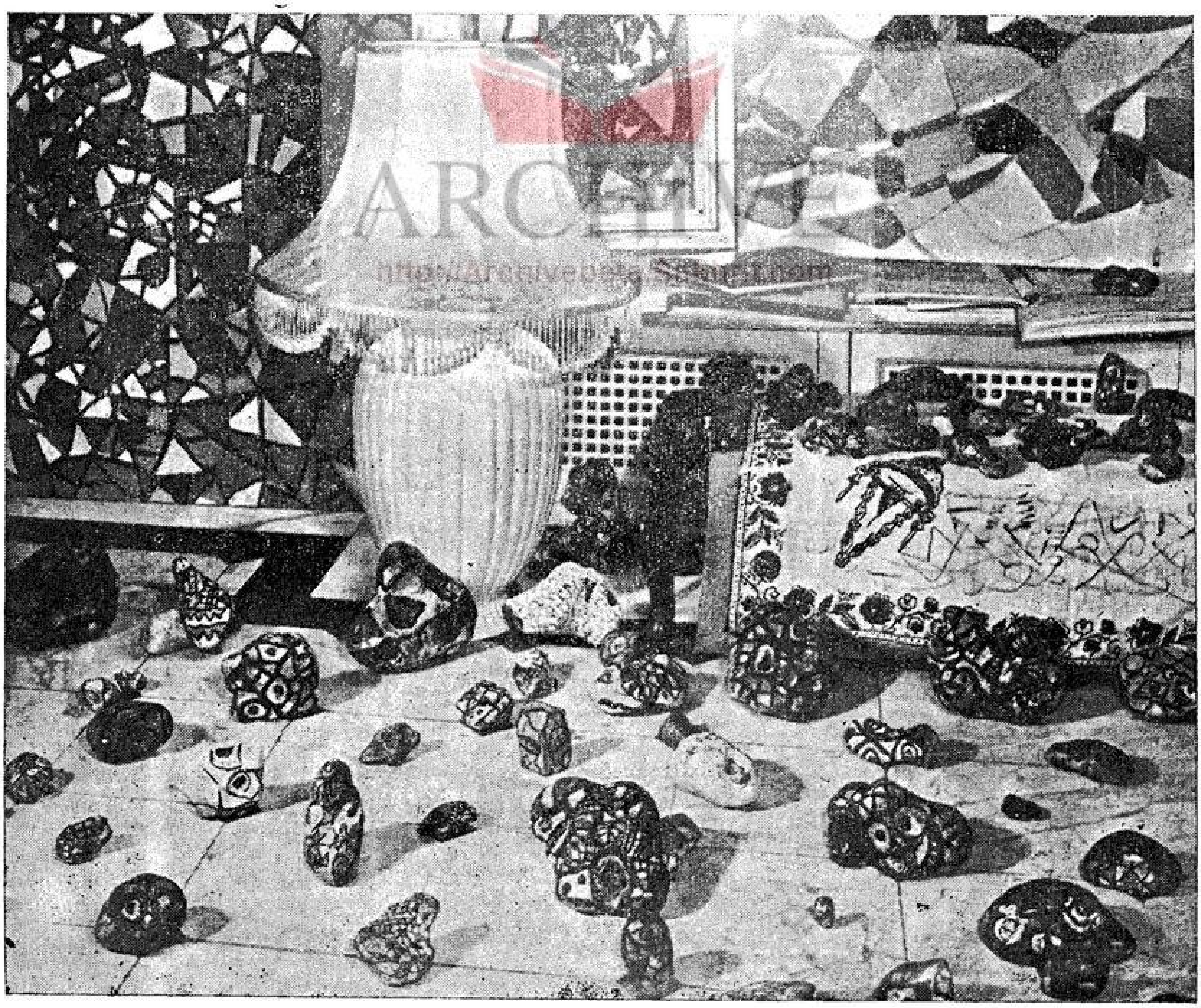
على ان الحرية الكاملة التي تنطلق بها يداها رائعة فريـدة تحوي صفة من العمق الخالق الخالد . ذلك انها مثقفة حقاً وان في رأسها ذخيرة من الافكار كما في نفسها نبع من الاحاسيس الخالصة . كانت تنصحني وهي تتحدث : « لنقرأ . . انقرأ دائماً فالمطالعة تفتح للفنان كنوزاً لا يمكن ان يظهر عليهـا الا الشعر والادب والحياة . . وان شئنا ان نصل في فننا الى امتلاك الشخصية الفنية الكاملة فلنا ان نرسم الحياة ، نرسم خطوطها المتعرجة في حركة مستمرة مختلفة الاتجاه في خلال هذا الفراغ الكبير . . وعلينا ان نخلق ما يملأ هذا الفراغ لوناً . . لوناً حياً يلتمع منطلقاً الى اعماق النفس .

وكانت تتحدث وهي هي نفسها في حركة وحيوية لو سجلتها لما خرجت الا برائعة هي من فنها الصميم . انها يا قارئي تعيش فنها ولا تتكلفه ، وما يجعلني فخوراً بها هو انها تفكر ، وهي تعمل ، تفكر في الشرق ، وتتذكر الوان الموزائيك المتناسقة وخطوطها المتاوجة الرشيقة ، حول مساجد بغداد وفي شرفات منازلها القديمة ، تفكر بذلك الفنان العربي القديم الذي استطاع ان يخلق من قبل مدرسة بغداد في التصوير ، وقصور الملوك العرب في اسبانيا وغيرها . انها بنت الشرق المخلصة .

اما الاحجار الملونة التي عرضتها فنانتنا الى جانب لوحاتهــا المائية والزيتية ، فهي في الواقع شيء جديد يلفت النظر ويذكر بكثير من اللمحات في الفن الابتدائي — Primitif — عند الانسان القديم ، الا انها في الواقع مظهر جديد من مظـاهر الفن ، وهي عبارة عن احجار تتركها الفنانة في شكلها وقالبها الذي وجدتها عليه ثم تقوم بتزيينها وزخرفتها بخطوط وألوان تلائمهـا مع شكل الحجر وانحداراته وانطوائاته المختلفة فتخلق بذلك شكلاً انسانياً حيناً ، واحياناً مجرد قطعة ملونة تغلب فيها لون الخط الاسود في معركة التباين الفني .

انني انتظر بأمل كبير اليوم القريب الذي تعرض فيه فنانتنا الاميرة ، فنها على العالم العربي في العراق ومصر وسوريا ولبنان ، واني واثق ان هذا سيحدث في الفن الشرقي المعاصر اسلوباً جديداً من التحرر من الاساليب القديمة التي ما يزال يرسخ في قيودها .

باريس — جميل حمودي



بين بلزاك وشكسبير

مهداة الى الاستاذ علي محمد الشلق

بقلم محمد عيتاني

عصر شكسبير كبير به وبباكون وبملتون، ناهض مثل «اوروبا» الناهضة، مؤمن بقيم الكنيسة الجديدة. يتعرف، أو يعيد النظر، الى التراث اليوناني واللاتيني. تتردد فيه على الافواه اسماء «تيت-ليف» وشيشرون وارسطو، والناس لاهون في دنياهم. والديموقراطية والملكية راسختان في القلوب الانكليزية. والعصر، على رقته وثقافته، قاس على البؤساء والضعفاء، ولكن عبقرية كعبقرية شكسبير لا تختفي في سمائه الغائمة المرعدة.

اما عصر بلزاك فكبير به و «بشاتوبريان» و «فيكتور كوزان» و«لامرتين» و«هيجو» و«موسيه» و«جورج صاند». عصر يؤمن بالمسيحية ايمانه بثورته وبنابليون. بيئة حللت الدين في مختبرات مجتمعها. حياة اجتماعية تتأرجح بين الملكية والجمهورية، يمسك بمقدراتها رجال اقوياء، تعلموا الحياة في مصر وموسكو واسترلتز وواترلو. ويسيطر على آدابها ومسارحها ابناء «بايرون» و«روسو» و«أوسيان» و«غوته» و«فولتير» و«شاتوبريان». تياران يتحكمان بالمصائر ويوجهان الارواح والقلوب، الشباب، فتيان العصر، باحساسهم المرهف وشاعريتهم المبدعة الابداعية، وأرواحهم المؤمنة الهائمة الطامحة. ورجال كل العصور: القواد والزعماء والتجار والنبلاء والاقوياء. ولكن فلسفة «اوغست كونت» وتهكم «سانت بيف»، ومادية «غيزو» و«تييرس»، لم تستطع الوقوف الى النهاية في وجه التيار الابداعي الرومنطيقي، فانهارت، امام الابداعيين تلك المقاومة الواعية العقلية، كما انهارت من قبل، المقاومة المدرسية الرجعية، ولن تنتهي المدرسة الابداعية في فرنسا الا بخلفاء لها على المسرح والشعر، يدينون لها بالكثير: روستان، سكريب، بودلير، رامبو، مالارمه...

***

ولكن في ثنايا الامواج الابداعية، بين «التأملات اللامرتينية» و«الليالي» و«الشرقيات» نجد ادباء مدرسيين، خرجوا من عواطفهم وميولهم الشخصية، ليصفوا الحياة كما هي، ويعكسوا صورة المجتمع الفرنسي كما كان، ومن هؤلاء ستندال وبلزاك، ولا شيء يجمع في الحقيقة بين عصري شكسبير وبلزاك فالقرن السادس عشر عصر تأسيس ونهضة وسذاجة نفسية اجتماعية في انكلترا، والقرن التاسع عشر، في فرنسا، عصر واع تحليلي، وصل الى الفلسفة والدين والجمهورية والادب، بعد الجهاد والمقارنة والوعي.

اما حياة شكسبير الخاصة فتلتقي بحياة بلزاك وتشبهها في كثير من مراحلها: نشأة فقيرة، وجهاد مبكر، ودراسة عميقة واسعة، وعائلة مجهولة. وتحمل صاحب «مكبث» مضاضة التسكع في الطرقات، والوقوف في ابواب المسارح، والضرب، كموليير، في آفاق الريف الباردة سعياً وراء اللقمة، خادماً فممثلاً، فصاحب فرقة تمثيلية ولم يكن صاحب «الاب جوريو» اسعد حالا في حياته، فكان كاتباً متمرناً لاحد المحامين، فطالباً فقيراً في السوربون، فصاحباً لشركة نشر، فمؤلفاً فاشلاً، مؤمناً بنفسه وبعبقريته، مجاهداً بعنفوان لا يشبهه الا شموخ شكسبير وموقفه من النبلاء الجهال المتكبرين

كتب شكسبير المهازل والمآسي المسرحية، مصوراً فيها طائفة من الاشخاص، وجملة من العواطف، وكتب بلزاك عدداً كبيراً من القصص ذات هيكل واحد (الملهاة البشرية) عاكساً في قصصه صورة المجتمع الفرنسي في نصف قرن بما فيه من حالات اجتماعية ومهن واوضاع. فماذا يجمع بين الشاعر الانكليزي والقصصي الفرنسي؟

صفة ادبية واحدة هي «الخلق»، وعدد كبير من الصفات الثانوية الانسانية الاخرى سنلقي عليها بعض الاضواء.

تخرج، بعد ان تقرأ مسرحيات شكسبير واشعاره، يصاحبك في الحياة اشخاص تعرفت اليهم بين سطور المسرحيات والاشعار، نماذج حية، صاخبة، عاشقة، شاعرة، فذة، فيها فروسية وبطولة وفيها غدر وشقاء. شخصيات تحس ان امتن الصلات تشدك اليها، واعمق الاحاسيس تحببها اليك. فعطيل العاشق الغيور، ويوليوس قيصر الملك البائس، وبروتوس المفوه الوصولي، وهملت الامير الحائر بين الوجود المطلق والعدم المطلق، وديدمونا العذراء المجنونة في حبها، وشيلوخ البخيل المضحك، و«روميو» العاشق المتفاني، وجولييت المخلصة، كل هؤلاء، وكثير غيرهم، اشخاص خلقهم شكسبير، فعاشوا ولا زالوا يعيشون. وسيان ان قرأت قصتهم في المسرحية، او نظرت اليهم على المسرح، ومهما كان من براعة

شكسبير المسرحي ، فبراعته الاسمى ، واعجازه الاكمل ، كامنان في هذا التعمق في الطبائع ، وهذا التحليل للمشاعر والعواطف والقلوب واحياء نماذج بشرية يبث فيها نفحة من الحياة لا تفارقها ابداً ، انشد شكسبير ملحمة العواطف ، وعزف سمفونية الروح الانسانية ، فلم يهمل معركة ولا نسي لحناً . وهو ملك المسرح ولكنه على الاخص ، مؤرخ القلب البشري .

***

«لويس شابير» «الاب جوريو» «راستنياك» «الخوري بيروتو» التاجر «سيزار بيروتو» فوتران ، كلايس ، الجني غرانده ، « الاب غرانده » ، كلها شخصيات تختصر حالات اجتماعية ، فرديات حية تموت اذا عزلناها عن بيئتها التي عاشت فيها ، او غايتها التي ارسلت لها فالخلق عند شكسبير هو اذن لضرورة المشاعر والعواطف والتقاء الروح المحتوم بتطوراتها وحالاتها ، والخلق عند بلزاك هو لتصوير حالات اجتماعية واوضاع مهنية ، شكسبير يصف تطور العاطفة حتى وصولها الى المأساة ، وبلزاك تطور السعي الانساني الاجتماعي حتى وصوله الى المأساة ، نحن لا نفاجيء بطل بلزاك ، وحده ، مجرداً عن مجتمعه ، لنحكم له او عليه ، بل تقف دون حكمنا عليه موانع « تخفيفية » — من بيئة وشقاء وفقر ومهنة وانجراف مع التيار ، وبلزاك يصف بطله دائماً اثناء العمل والتطور ، دون ارادة المجتمع والمادة ، وما صمم عليه هو ، مدفوعاً بقيم الحياة التي تحيط به ، سواء أكان جندياً او تاجراً او كاهناً او فيلسوفاً او عالماً . اما ابطال شيكسبير فنراهم اثناء استراحة نفسية او عاطفة ثائرة ، عبيداً للمشاعر الانسانية الصرفة ، يمحون في اراداتهم ، القيم السابقة ، والمحبطة ، ليصدروا في اعمالهم عن قوى القلب الانساني في كل زمان ومكان . ولذلك نرى ابطال شيكسبير ، في اكثر فصول مآسيه ، عرضة لحالة من التفكير الفاصل ، والحوار النفسي الداخلي ، عائدين الى الضمير الذي يدين المجتمع ويحكم عليه ولا يخضع له . فالموت نهاية البطل المحتومة عند شكسبير والثروة او الفقر نهايته في قصص بلزاك — واذا قلنا نهاية فانما نعني مخرجاً وملاذاً .

في قصص بلزاك نرى انسان السوق مغلفاً بريائه وحوله الالوان الاجتماعية والاصباغ المكتسبة ، وفي مسرحيات شكسبير نرى انسان المخدع ، صادقاً ، عارياً ، واحداً .

بلزاك كاتب ماركسي قبل «ماركس» لا يؤمن الا بالمادة ، وكل القيم في نظره تصدر عنها ، فالعواطف ، والعلاقات الانسانية ، وروابط الاسرة ، والمجتمع ، حالات انسانية خاضعة للمال . اما شكسبير فشاعر وجودي (الفت نظر الاستاذ بدوي اليه) يتساءل في كل لحظة ، وفي كل خفقة من خفقات قلبه ، وبلسان ابطاله القلقين : ما قيمة الحياة ؟ وما قيمة العدم ؟

صور شكسبير النفس كما هي ، والقلب كما هو ، والعواطف الانسانية كما هي ، وعكس بلزاك الحياة الاجتماعية كما هي ، والمجد كما هو ، ودنيا المال والآمال والبطولة كما هي : شكسبير واقعي حتى في تصوير الخيال والاحلام !! وبلزاك خيالي حتى في تصوير التجارة والجندية والشرطة ، لانه عرض علينا ، الى جانب التجارب النفسية التي عاشها ، حالات تخيلها ، وهو خيالي ايضاً لانه يعرض امثلة من الوفاء خيالية ، ونماذج بشرية حية الى ابعد حدود الحياة ، ولكنها تقوم بما لا نقوم به نحن لو ألمت بنا مآزقها واحدقت اخطارها . وشكسبير واقعي في التقاط وتثبيت الاحلام الملحة والآمال الكبيرة ، والشهوات المغرية ، في اطار من التهكم ، والعرض المجمل ، والحياة الخاطفة الموارة ، والكلمات الذكية المأثورة ، حتى لتحس ببعد المأساة الشكسبيرية عن عالمنا العادي السطحي وحياتنا اليومية الرتيبة ، ولم ينجح كثير من الكتاب والشعراء حيث نجح بلزاك وشكسبير ، اذ رفع احدهما في قصصه احداث حياتنا اليومية المملة ، ذات الصور المكرورة ، الى آفاق الاحساس والجمال والشعر ، والقيم الآخر ، في مسرحياته وقصائده نظرة عميقة فاحصة على العواطف التي تلهب نفوسنا ، وتعصف في اعماقنا ، فحملها الى المثالية ، فغفرنا لها ، واحببناها . .

ابطال بلزاك : « راستنياك » شاب توصل الى الجاه والثروة والحكم ، بعد الجوع والجهاد ، فاقداً في الطريق كل ما له من مساس بالشرف والواجب والحق ، او شيخ يدعى الاب جوريو ضحى بحياته وثروته وسعادته وكرامته في سبيل اسعاد ابنتيه ، او رجل مالي ، نوسنجن ، لا يؤمن الا بالارقام والكميات ، او رجل قوي — فوتران — ارهب الدولة وجنودها ، والشرطة وقواها ، بالحيلة ، والقوة ، والذكاء ، فصار رئيساً للشرطة ، يحني له النبلاء هاماتهم .

ابطال شكسبير : عاشق ولهان ، جثا في ليلة مقمرة ، تحت شرفة جوليت ، منشداً معاهداً ، بلغة اصفى واعمق من تجاوب الالوان والالحان والعطور ، في اصيل يوم من ايام الصيف ، امير يحس الغدر في بيته ، والخيانة من امه ، والواجب في ضميره . فهو يلقي الينا ، عن المسرح ، بهذه الحيرة الطاغية العاتية ، ممزوجة بالتصميم والسخرية . . ، بخيل يريد ان يزن الدنيا كلها في ميزانه ، وان

تعتنق الانسانية كلها مبادىء اقتصاده . ونحن نرى « المسيو كلايس » في احدى قصص بلزاك ، يضحي بثروته ، وثروة ابنته ، وسعادته البيتية ، للوصول الى اكتشاف علمي ، في حين ترتدي التضحية ثوباً آخر عند شكسبير ، فنجد خادماً تعيساً ، يضحي بسعادة الآخرين وعواطفهم ليرضي استاذه الشيطان . ان الحيلة ، والغرور ، والغضب ، والشهوة ، والطمع ، كلمات استعارها شكسبير ، ليضعها في مأساة كبيرة واحدة ، متعددة الفصول ، تؤرخ لوجود الانسان عاشقاً ومتألماً ومجنوناً ، والعمل والتضحية والرياء والغش ، والامانة ، والطمع ، والبطولة والعبقرية ، ضحكات مكتومة ساخرة حشدها بلزاك لتصوير الحياة والاحياء .

والسخرية بطيئة ، اجتماعية ، مؤلمة في قصص بلزاك ، وغالباً ما تكون خبيثة ، رغم طهارة نفس مطلقها ، وعلى العكس سخرية شكسبير فهي لاذعة ، بريئة احياناً ، سريعة ، عميقة ، تنفذ كالسهم ، يقولها احد اشخاصه بعد دراستها وتحليل وقعها ، فهي سخرية فلسفية ، وتهكم خلاق .

سخرية شكسبير اقرب الى سخرية اناطول فرانس وديكنس والمعري ، اما سخرية بلزاك فأقرب الى دوديه والجاحظ وابي العيناء . شكسبير فولتير ذو قلب وبلزاك نواسي وعى الحياة وطلق الخمرة .

يشذ بلزاك عن قاعدته المادية ، ومبدأه احياناً ، فنرى العالم « كلايس » يضحي بكل شيء ، في سبيل عاطفة نبيلة ، هي انتصار العلم في شخصه ، واكتشاف « المطلق » ، ولكن آلامه وحسراته ، ومضايقات اسرته ، ومنظر زوجته الصامتة الكئيبة ، ونظرات ابنته الطاهرة الضحية ، كل هذا ينتزع من نفس « كلايس » الشعور بجمال تضحيته لانها لم تعد ذاتية مجردة ، وعظمتها زالت باشتراك « الغير » فيها . فيموت شقياً فاشلاً .

ونحن نألف اشخاص بلزاك وشكسبير ، ونحبهم ونتبناهم ، لاننا ننافق كما ينافقون ، ونحيا كما يحيون ، ونجاهد كما يجاهدون ، ونحب ، ونشقى ونيأس ونقع في المآزق ونتخلص منها ، مثلهم ، بنفس الجروح والاسلاب والذكريات . نحن نألف هؤلاء الاشخاص لاننا نتصرف مثلهم ، فاذا أحببنا ، أشهدنا السماء والنجوم والاشجار على يأسنا وحبنا وعواطفنا ، وسبب الخيانة كامن في نفوسنا ، والنهاية تعدها قلوبنا . اننا نجد في اصطخاب هؤلاء الاشخاص وتلجلجهم في مهاوي الشهوات والعواطف صوراً لحياتنا وبعثاً لاعماق ضمائرنا ونفوسنا .. اننا نعطف على مجرمي وضعفاء وضحايا شكسبير لاننا مجرمون وضعفاء وضحايا احياناً ، وبالاختصار نحب في ابطال شكسبير وبلزاك الانسانية المعذبة ، فينا اولاً ، وفي شهدائها وابطالها وسفاحيها وضحاياها ثانياً واخيراً ..

فبكثير من العطف والشوق والانتباه ، نراقب بطل بلزاك منتصراً في السوق ، او رجلاً من رجال الارادة والعمل جاهداً في اسواق باريس ومجتمعها لينال الشهرة والثروة والوزارة ، وبكثير من الارتعاش والمحبة ، نلاحظ في مسرحيات الشاعر الانكليزي ، ذلك الرجل المكتمل ، فارساً كان او اميراً او عاشقاً ، ينتظر هلعاً مريداً ، على خشبة المسرح ، انفجار العاصفة ، ليقيس قوته بقوتها ، اننا نتحسس قوانا ايضاً ، والمأساة تحمل الينا العبرة لانها تدلنا على مكامن القوة في مصارعة الاهوال والمقادير والعواطف ، ولان الانسان غالباً ما يصرع ، وسط عواطفه وآلامه وكبريائه ومجونه .

انذر الشاعر الانكليزي بأدب ما فوق الطبيعة Surréaliste انذاراً خفي معناه على فولتير فضاق بساحرات شكسبير واشباحه في هاملت ومكبث ، ولكن هذه اللمحات الوجيزة المحمومة الخيالية ، مهدت الطريق لوليم بلايك وبودلير وادجار بو .. اما بلزاك فكتب « لويس لامبير » مرهصاً « بكافكا » وما ترلنك الشاعر . وستلعب هذه القصة الغريبة تعبيراً ومعنى ، دوراً كبيراً في توجيه المخيلات الشاعرة المريدة في المستقبل .

ان اكثر كتاب المسرح ، بعد شكسبير ، عالة عليه . لا يرون جمالاً غير جمال مسرحه . وتلاميذه ، كما يعلم القراء ، هم هيجو وروستان وفيني وموسيه وشوقي ، وشوقي اضعف تلامذته على الاطلاق ، وقد افاد « سعيد عقل » من التلمذة على راسين وغوته اكثر مما افاد شوقي من شكسبير . وليسمح لي القارىء بشيء من الاستطراد فاقول ، مخلصاً لضميري ، ان « بنت يفتاح » تثبت ، عند المقارنة ، لاية مسرحية سوفوكلية او راسينية او إبسنية .

اما تلامذة بلزاك ، فديماس الصغير ، وموباسان . وزولا . ولا نورد الا اسماء المشهورين الخالدين .

لم تكن لشكسبير وبلزاك افكار اجتماعية اخلاقية او جمالية ذاتية يدافعان عنها ويعيشان ويموتان في سبيلها ، ولكنهما جاهدا في جهاد اشخاصهما ، وعاشا قلباً وروحاً وجسداً ، لذلك الخلق الكبير الكامل ، وسجلا اسميهما في سفر الخلود . وهما فيلسوفان ماديان واقعيان صورا الوجود كما هو ، ولكنهما قدما لنا شيئاً لا تقدمه الفلسفة : اسطورة العواطف ، وشاعرية الحياة الاجتماعية .

محمد عيتاني

صورة وصفية

نجمة

بقلم وديع فلسطين

☆☆☆

قلب كبير هو قلب « نجمة » ، ونفس باذخة هي نفسها ، واخلاص بريء من الشوائب هو اخلاصها ، وحياة فضلى هي حياتها. تطالعك ابداً بوجه بسام وتبدهك دأباً بروح مرح ، وتلقاك دائماً وهي على شوق حتى وان كنت ودعتها قبل ثوان. وما ذلك الا لصدق طويتها وسلامة مشاعرها من المظان ، وخلوها من صغائر الحياة وكبائرها معاً.

« نجمة » فتاة مجالس وسُمّار ، اذا اقتعدت مكاناً بين خلان كانت صاحبة الصدارة في كل شيء. فهي تبادىء بالكلام الرشيق ، وترود بالملحة الطريفة ، وتروي الطرف الادبية والتاريخية ، وتنهض على خدمة الصحب فتقدم لهذا ريّ ظمأ ، وتمنح ذاك فطيرة مما صنعت يداها ، وكم صنعت ، وترعى الجميع ملبية لكل حاجته. فهي سيدة دار ، وفتاة مجتمع ، وزهرة من تلك الزهور التي اذا تقلدها المرء باهى بها.

عبثاً تحاول الايام ان تمحو من ذاكرتها رؤيا حبيبة ، وعبثاً تفلح الدنيا في ثنيها عن معتقد اعتقدته. فاذا امتدت بينك وبين نجمة حبال مودة في مجتمع من مجتمعاتها ، أنست الى صحبتك ، وتابعتك بالسؤال والتسآل ، ووالتك عن بعد او عن قرب بأسباب المحبة الخالصة. وانك لترى آيات حبها ظاهرة في كل من التقى بنجمة ولو لقيا عارضة. هذه شملة من المخمل الشفيف تطوق عنق ذياك الصديق أهدتها له نجمة. وهذا قميص صنع من صوف نسجته يدا نجمة. وهذا نقش بديع في طرف منديل رسمته انامل نجمة. وتلك قصيدة من در الشعر جمعت حباتها « نجمة » في قلادة واحدة لتمتدح واحداً من رفاق محبتها. وكيف لا وهي ذات قلب كبير تعطي ولا تنتظر لقاء ، وتمنح في غير طمع في مثوبة ، وتهب في سخاء وان أمسكت محن الحياة بتلابيبها.

هي ذات سوار ، ولكنها لا تلطم بل تعرف الى الصفح دروبه. وهي ذات اباء فلا تحتمل سماع كلمة ايذاء ، وهي تصارح وتجاهر فتمقت الكتمان وتمج المداورة والمناورة. وهي ذات استقامة في معاملاتها ، فتقول كل ما تضمره نفسها ، أمينة غاية ما تكون الامانة ، دقيقة غاية ما تكون الدقة ، عفيفة غاية ما تكون العفة ، سماحة غاية ما تكون السماحة. تحذر الرياء لان ثوبه شفيف ، وتناوىء الخدع والمداهنات وسياسة الوجهين ولها من وجهها المعبّر القوي التعبير ، ومن تقاطيعها الحلوة الباهرة ، ومن قوة ذاتيتها ما يحملك على ان تبادلها احتراماً باحترام ، وتمنحها ما هي خليقة به من توقير وتجلة.

هوايتها هي هواية كل مترفع عن الدنايا ، واعني بها عشق الادب. ففي الادب تجد عزاء اذا التمسته ، وفيه تجد متعة ان افتقدتها ، وفيه ترى صور الحياة بألوانها ومناحيها بغير ان تبرح مقعدها ، وفيه تصادق اناساً من العظماء ، فتطارح شوقي قلائد الشعر ، وتردد قصائد خليل مطران في شجى ، وتعيد انشاد ما نظمته عائشة التيمورية ، وتحفظ في ذاكرتها الواعية بضعة آلاف من ابيات الشعر تستعين بها على اضفاء روح الفكاهة والملاحة على كل حلقة سمر تشهدها.

قولوا لهذه الفتاة «نجمة» ان لها عروشاً في القلوب. فقد تأصلت جذور مودتها في شعاب القلب ، ونمت شجيرات غرس حنانها فأينعت واثمرت ، وانطلق بعض من نفسها يغزو نفوس الآخرين. انها فتاة يتمنى كل امرىء ان ينتقيها بين اقربائه ، ولكن ذوي القربى لا ينتقون بل على المرء يفرضون ، ورغم انفه يُنسبون اليه. ولو كان الناس يتخيرون افراد عائلاتهم بأنفسهم لبدل حال الدنيا تبديلاً ، لان قرابة الجسد والدم أوهى وأهون من قرابة الروح والوجدان.

قولوا لنجمة انها فارسة فاتحة ، لانها تستطيع بغير مهر أغر محجل ان تغزو قلاع النفوس الصلاد ، وكيف يصمد امام سحر حديثها حصن مهما ارتفعت متاريسه ، وكيف يصاول قوة حبها الغامرة قوة مهما بولغ فيها ، وكيف لا تلين القناة ونجمة تعرف كيف تعجم الاعواد ؟

قولوا لنجمة : أنتِ ذات دهاء ، ولكنك لا تسخرينه الا في ايتاء الخير والبر بصاحب الحاجة. فدهاؤك هو الذي أملى عليك ان تصنعي لنفسك طاقة من خيار

شومان

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم صميم شريف

●

روبرت شومان قبس من قبسات النبوغ وشعلة من شعلات الابداع ، وومضة من ومضات الرومانتيكية. نثر كنانة عبقريته الخلاقة ، والهامه الفذ ، مترسماً خطى النغم التائه شوبرت وحاملاً من بعده مشعل الموسيقى يقوده في خضمها الحب والفن والجمال.

ولد في مدينة ساكس من مقاطعة زويكو عام ١٨١٠ وكان ابوه رجلاً من عامة الناس بسيطاً يشتغل ببيع الكتب ليؤمن قوت اسرته الصغيرة وحين رزق بابنه هذا حلقت به أحلامه ، وقذفت به خيالاته الى مستقبل ابنه لما يغدو رجلاً ضليعاً في القانون، وقطباً من اقطاب الحقوق المعدودين.

وفي جو عائلي هادىء ، حافل بالآمال ، زاخر بالرجاء ، عامر بالايمان، شب شومان الطفل، وتدركنا حيرة سعيدة من تلك الصداقة المتينة التي ارتبط بها مع البيان والتي حولت اليه انظار امه وهو بعد ما زال في السابعة من عمرة وارتأت هذه الام الحكيمة ان تنهج بوحيدها وفق رغباته وميوله ، وكان كثيراً ما يخترع انغاماً لا عهد لاحد بها . فينطلق في العزف على سجيته مستغرقاً ومنقاداً لهواجسه لينقطع فجأة بعد حين مصيخاً بسمعه كأن به مساً ومحدقاً عبر فضاء الغرفة كالمخبول ، ثم لا يلبث ان ينفتل نحو امه يسألها بسذاجة : الا تسمعين شيئاً عجيباً يا اماه ، الا تسمعين دوياً وطنيناً . . . طنيناً مزعجاً ؟ . .

وتحتضن الام طفلها بحنو شديد وتمرغ وجهه بصدرها وقد هالتها

الاصدقاء تسخرينهم جميعاً بغير ان تأمري، وتستعمرينهم جميعاً بغير ان يرتفع بالمعارضة صوت ، وتستحوذين على مشاعرهم جميعاً وهم رهن يمناك . انت اذن قائدة لهذا الجيش، وانت تكسبين المعارك بدهائك الذي لا سبيل له الا سبيل الخير.

ألا ما اسعد الانسان ببريده ، وما اسعده بالطائرات تنقله اليه . فلولا مارقات الجو ، ولولا دور البريد لتعذر على الناس ان تعرف الناس وتقف منهم على جلية انبائهم . فقد ركبت نجمة ذات يوم متن الهواء الى حيث الجبال الشم والارز المتعالي والثلج مكلل الهامات . ولكن انباءها ما انقطعت لان الطير نفسه يعود الينا برسائلها لتتغذى نفوس تجوع بالفراق . لكأن الطائرة هزار يعود الى فراخه والحب في فمه، وهو لا يعود ابداً فارغاً . وتمضي الايام فما تزيد الشوق الا حرارة ، وما تزيد الشعلة الا التهاباً .

اذا وهى الحب فالهجران يقتله
وان تمكن ، فالهجران يحييه
صغيرة النار عصف الريح يطفئها
ومعظم النار عصف الريح يذكيه

ان « نجمة » تضيء ، وتضيء دائماً . وهي في سماء لا تغنى ولا تحجبها سحائب صيف . وهي وضاءة سواء شط المزار او تدانى . ومن عود الآخرين على التضحية الباذلة، والعطاء السخي، والعاطفة المسكوبة، والروح الهائمة في أفنية الرحمة، نقش اسمه على صفحات القلوب وان قدت من صوان ، ورفع نفسه من حيث شاء ان يضعها .

فريدة انت «يا نجمة» في بابك . فريدة في خلقك واخائك . فريدة في حبك ووداك فريدة في حياتك ووفائك .

وهذه قلادة من اقحوان لعلها تستطيع ان تطوق جيدك ، حيث تكونين .

القاهرة — وديع فلسطين

الفكرة التي برقت في خاطرها عن الجنون الوراثي ، فجده كان مختلاً.

وتمضي الايام والشهور والسنون ، وهذه العلة ما زالت تظهر وتختفي بصداعها وآلامها وطنينها المرهق وروبرت ووالداه لا يملكون حيالها شيئاً.

وأخذ ينطوي على نفسه ، ويبالغ في اخفاء هذه الظواهر عن الصحاب وافراد اسرته ، هذه المزعجات التي لا تهاجمه الا حين يختلي بسميره المعزف ، صديقه منذ طفولته.

وفي عام ١٨٢٨ وكان قد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، اضطر رضوخاً لمشيئة ابيه ان ينتسب لجامعة ليبزج ليختص في القانون الذي يتوق ابوه الى تعليمه اياه ولكنه كان عازفاً عن الدراسة ، سئم منها وملها فاغاني شوبرت تملأ رأسه وتفكيره. وموسيقى بتهوفن تموج في اجوائه وروحه والحان ليزت تهزه هزاً وتلهمه انغاماً وعبقريته تضج في عروقه بصخب تبغي الانطلاق وتصيح به : انك خلقت فناناً يا شومان . . خلقت موسيقياً لتخدم هذا الفن ليس الا.

وترتاح نفسه لهذا النداء الذي يتيه في اعماقه ويهيمن على احساسه ولكن الاسى سريعاً ما يغمر نفسه، والحزن يستولي على مشاعره حين يتذكر والده. وكتب القانون التي تربض على منضدته ، ويهوله منظرها فيفزع الى امه يبثها لواعج آلامه ، ومفاتن آماله في الحياة. وتصطدم امه الطيبة بنقاش حاد مع ابيه ينتهي برضوخه لمشيئتها ، ولكنه يعرب لابنه عن عدم رضائه لهذا الامر.

وهكذا هجر روبرت الجامعة وبدأ دراسته الموسيقية على الموسيقي فييك Wieck الذي اعجب بمواهبه الفياضة المتدفقة وبآرائه عن الفلسفة في الموسيقى وكيف يجب ان تكون وقد نشرت آراؤه هذه في اكثر الصحف والمجلات الموسيقية التي كانت تصدر آنذاك.

ومرت سنوات وشومان منكب على دروس استاذه يصقل بها نبوغه البكر ، ويهذب آراءه ونزعاته المصطرعة في ذاته. اما فييك فقد وجد به ضالته المنشودة التي يفتش عنها ليخلق منها شيئاً مذكوراً يقدمه للانسانية الظمأى للانسانيين، ومن اجل ذلك افرد له احدى غرف المنزل وما زال يلح به حتى قبل ضيافته.

ومن بين جدران هذا البيت كانت تنبعث انغام اخرى لشومان لا عهد له بها . انغام كان يرددها قلبه الثمل بنشوة الحب فقد عشق واحب (كلارا) ابنة استاذه واحبته بجنون ، وكانت فنانة مثله تعزف البيان ببراعة واعجاز قل من يشاكلها في زمانها ، واستطاعا بادىء ذي بدء ان يكتما هذا الامر، ولكن الحب . هذا السحر العجيب كان قد بلغ الذروة وما كانت الحياة تكتب له لو بقي طي الكتمان، فلقد عثر فييك بين قطع شومان الحديثة التأليف على قطعة بعنوان حلم مهداة الى ابنته وقد كتب تحتها : انت روحي، سعادتي.

كان اللحن عاطفياً ملك على فييك لبه ، على انه ما لبث ان طرد عنه نشوة اللحن الحالمة ، وانطلق يبغي شومان الذي جابهه بالحقيقة التي لا مفر منها طالباً منه يد ابنته مما ازعج هذا استاذه الذي كان يرى ان الوقت لم يحن بعد لذلك ، وان على شومان ان ينصرف لفنه فيتضرع اليه بقوله : يجب ان تبقى لفنك يا شومان . . انك ما زلت في البداية . . اني سأمانع في زواجك من كلارا حتى تصبح ذلك الموسيقي الذي اطمح اليه.

ولكن الحبيبين كانا قد اعتزما ان يغرفا خمراً من غرامهما العنيف فتزوجا سراً واخفيا هذا الامر عن فييك حتى قيض له من اخبره بالامر ففوجىء بذلك، وانفجرت براكين الغضب في صدره، وثار لكرامته فطردهما مع أمن الدار ، عوضاً من ان يبارك زواجهما ، طردهما والدموع تترقرق في عينيه فقد كان يحب تلميذه كما يحب ابنته ولكنه قال : لقد حكم شومان على نفسه بالفناء . . لن يصبح ذلك الموسيقي الذي اتوق اليه.

وتدور عجلة الزمان دورات اربع والحبيبان ما زالا متواريين عن الانظار يجوبان اوروبا بحثاً عن العمل الذي وجد فقط بشخص زوجه كلارا التي كانت سلم شهرته فيما بعد. وكان كثيراً ما يضم زوجه اليه ، ويهمس من اعماقه : كلارا . حبيبتي ، لو يعلم ابوك الجلف بأني اضم موسيقاي الى قلبي الآن . . لو يعلم ان الاغاني التي يشدو بها الناس في كل مكان هي من وحيك لعض اصابعه ندماً.

في سنة ١٨٤٣ حين اسس مندلسون الموسيقار الشهير المعهد الموسيقي لمدينة ليبزج عين شومان استاذاً في المعهد المذكور فاختص في المرافقة والتوزيع الموسيقيين ، على انه لم يستمر طويلاً في ذلك فقد عافت نفسه التدريس بعد ان اصطدم مع مندلسون فهجر المعهد ثم ليبزج الى درسد ولكنه لم يمكث بها طويلاً فرحل عنها الى دسلدورف واخذ يشتغل بتدريس الموسيقى زمناً ، كما عاد الى نشر مقالات في نقد موسيقى اشهر المؤلفين، ورغم هذا كله فان مرضه المزمن بدأ يظهر عليه بوضوح عقب خصامه مع مندلسون ، فبات عصبي المزاج ، يغضب لاتفه الاسباب ، وتثور ثائرة نوباته العصبية بشدة ، كلما تذكر ماضيه القريب. . عنت ابنه وصلفه وطرده اياه من المنزل حين عاد اليه فيما بعد ، ثم قساوة حميه ، وحماقة مندلسون وشجاره معه، فتضطرب هذه وتصطرع في ذاته اصطراعاً ساعد على اشعال الداء في رأسه . . هذا الداء الذي ورثه عن جده ، والذي لم

تنفع معه علاجات الاطباء.

وتفاقمت نوباته الغريبة وازدادت شدة حتى تركه تلاميذه الواحد تلو الآخر مما جعله يتلمس الرزق في مدينة بون Bonn مسقط رأس بتهوفن. وهناك في هذا الخضم من اوجاعه ومصيبته ابتدأ بتأليف اوبراه الاخيرة فاوست، وكان تشجيع كلارا حافزاً له على انهاء تأليفها.

على انه حين هجره تلميذه (براهمز) تمكنت منه عقدة نفسية فزعزعت ثقته بنفسه كموسيقي، فقد اعتقد ان تلميذه تركه لان معلوماته بسيطة وابتدائية، ولكن الحقيقة ان براهمز احب زوجة استاذه وعشقها حتى العبادة مما جعله يفضل الابتعاد بحبه عن المنزل كي لا يؤذي شعور استاذه.

وكان ان خرج شومان في جوف الظلام الدامس ليحدق طويلاً في ماء الرين الصاخب بأمواجه، ثم قفز الى احضانه ليلفظ انفاسه مع آلامه التي ارهقته. ولكن قدر له ان لا يموت غرقاً فقد انتشله بعض النوتية الذين كانوا يجوبون النهر.

ولم يستطع حين احس بالحياة ثانية، ان ينزع عن رأسه اليأس الجاثم على صدره، وذاك الدبيب المروع الملتهم دماغه وافكاره لقد حاولت كلارا ان تغذي قلبه بالتفاؤل، وان تشيع في نفسه الامل ولكنها اخفقت لان القضاء كان محتوماً، ففي احدى ليالي عام ١٨٤٩ بعد ان استرسل في العزف كعادته في غنائيته (فاوست) صرخ مرتاعاً في الظلام المحيط به، واسرعت زوجه اليه لتراه قد فقد عقله واصبح مجنوناً. ونقل في اليوم التالي الى مصح (بون) للعقول المريضة.. نقل الى هناك حيث قضى نحبه فيه عام ١٨٥٦.

كتب شومان كثيراً من القطع الموسيقية المنوعة من ملاحن وثلاثيات وكونشرتو وافتتاحيات وغنائيات وقطع خاصة للمبتدئين واخرى للبيان واشهر معزوفاته هذه الملحنتان: الاولى والثانية، والكرنفال والفراشة، نقوش او زخرفة عربية، وغنائيتا جنفياف وفاوست وهذه الاخيرة تعتبر من اروع الغنائيات العالمية، وقيل بأنه عثر مؤخراً على اجزاء جديدة منها، ويدرسها الآن كبار الموسيقيين لاخراجها اذا كان بالامكان ذلك.. وعدا هذه المؤلفات الضخمة وضع كثيراً من الحان الليدر واشهر هذه الالحان حياة الشاعر حياة وحب امرأة، اغنية الطحان، الجنة والفناء، حياة وردة.

ولقد نشر ايضاً سلسلة من المقالات اللاذعة النقد عن الموسيقيين ومؤلفاتهم. تناول بها بالقدح والذم جميع موسيقيي زمانه. على ان الموسيقي الوحيد الذي سلم من عقر لسانه (شوبرت) فقد قال عنه: يستطيع هذا الفتى ان ينطق فأساً بالحانه. ويقال ان السبب الوحيد الذي دفعه الى كتابة ذلك — كما يرى نقاد الموسيقى — ميله الفني لالحان الليدر التي كان شوبرت يجيد سبك انغامها وفق كلماتها. كما ساعد بمقالاته على اشتهار موسيقيين ممن تتلمذوا على يديه او تعرفوا اليه واشهر هؤلاء: برليوز، واغنر، شوبان، براهمز حتى انه كتب عن هذا الاخير قائلاً: اما براهمز فهو المسيح الجديد الذي تنتظره الموسيقى بعد بتهوفن.

ولقد اعتقد البعض انه يبالغ في اطراء مواهب تلميذه ولكن الحقيقة سرعان ما ظهرت وعرفوا ان شومان كان على حق في قوله ولم يكن يغالي فيه قط.

لقد طغى جميع هؤلاء الذين مر ذكرهم على اسمه واضاعوا شهرته التي سهلها لهم، وكان لا يكتم اعجابه بليزت ومندلسون ولكن الاخير لم يكن يبادله اعجابه كما ان ليزت وبراهمز كانا يحبان زوجه حتى ان كلارا رفضت الزواج من براهمز حين طلب يدها بعد وفاة زوجها وبقيت مقيمة على ذكراه.

لقد مات شومان، ولكن الحانه بقيت حية تردده الالسن، وتهمس بعظمة مؤلفها الشفاه، لقد قال عنه النقاد انه كاتب وناقد اكثر منه موسيقياً ولكن الحقيقة انه استطاع ان يجمع الاثنتين معاً وان يبز اقرانه ويفوز عليهم.

هكذا دوماً شأن العبقريات المغمورة، تكتشف بعد زوالها، ولكن التاريخ يأبى الا ان يظهرها على حقيقتها كي تتم فصول مهزلة حياتهم التعسة. لقد اهملوا شومان في حياته، ولكنهم اليوم يتسابقون بتخليده الهاً من آلهة الفن الرومانتيكي.

دمشق — صميم شريف

غرام نابليون في سانت هيلانة

عن الكاتب الفرنسي ج. لنوتر

●

مقدمة

في مأساة جزيرة «القديسة هيلانة» المؤلمة المروعة، لحن مسعد بطراوته انبعث من وجود فتاة ضاحكة لعوب، قرب نابليون، في ايامه الاخيرة. وحين تحدث «ج. لنوتر»، احد الادباء الفرنسيين المعاصرين، عن ايام نابليون الاخيرة، بما فيها غرامه الاخير المجهول هذا، نقل بعض ما تركته الفتاة من مذكرات تصف الفترة السعيدة من ايام صباها، ملقياً على صورة البطل الفرنسي، ضوءاً ناعماً جديداً.

***

كانت فتاة «نابليون»، كما وصفها معاصروها، في الرابعة عشرة من عمرها، صغيرة القامة، لامعة العينين، تجمع الى براءة الصبا، دهاء المرأة المستقلة، وتبدو مكتملة رغم سنها وقصر ثوبها. وكانت تدعى «اليزابت» او «بتي» اسمها المصغر.

اما والدها، المستر «بلكومب» فكان يمارس في «الجزيرة» مهناً مختلفة. ادارة المصرف، وتسليح السفن، وشحن البضائع ومحاسبة شركة الهند، ويتمتع في الجزيرة بنفوذ منشؤه عطف الوصي على عرش بريطانيا، ونزول امراء البحر في حلهم وترحالهم، عنده، لانه كان يمارس، الى جانب مهنه العديدة مهنة صاحب فندق.

وقد خصص لذلك، في دارته الضائعة بين ادواح الحديقة المترامية، جناحاً انيقاً صغيراً، يفضله السائحون النبلاء على نزل «جيمستون» البورجوازي الوحيد.

وكان المستر «بلكومب» يعيش، في تلك الدارة الجميلة، مع امرأته وابنته، «جوني» و«بتي»، اما جوني ففي السادسة عشرة من عمرها، على حظ وافر من الجمال والهدوء والاتزان، فما ابعدها، في صمتها وابتساماتها الرزينة، عن اختها «بتي».

لم تؤثر في «بتي» قساوة والديها، ولا توجيهات المربين، فاحتفظت بعنفوانها وتوثبها وحريتها، فهي لا تكف عن الجري والرقص والصراخ، والاندفاع في حديقة المنزل الفسيحة، تاركة لاشواك الورد والعوسج، نتفاً من اثوابها الثمينة، وهي تهمل دروسها مفضلة عليها الرقص والعزف على القيثار..

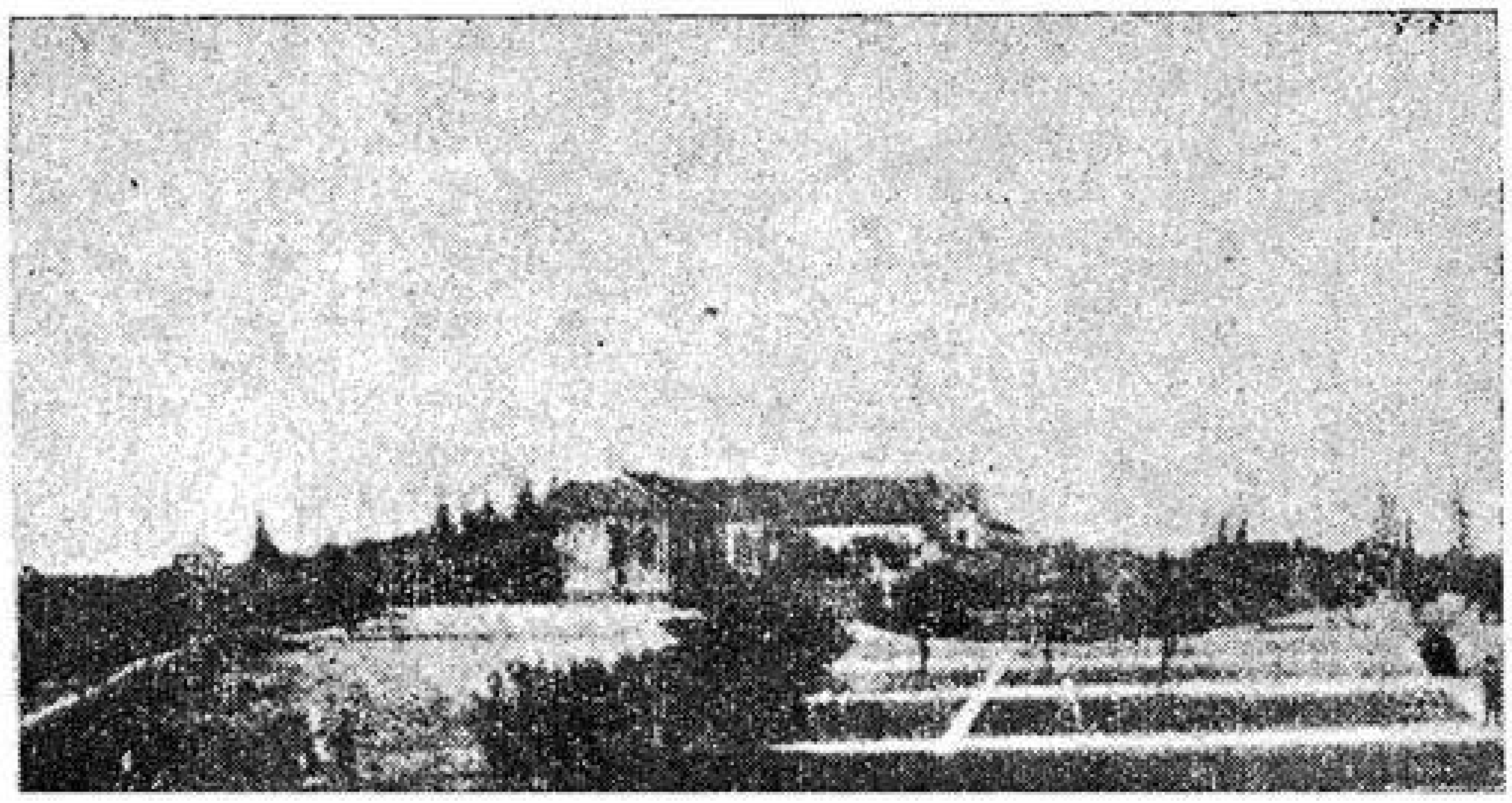
نبأ يبعث الذعر

في تلك الايام، كانت «جزيرة القديسة هيلانه» تنعم في هدوئها وعزلتها، ولم يكن يعكر صفوها اخبار الملاحم والحروب الاوروبية ولا عودة نابليون الى شواطىء فرنسا، او هرب لويس الثامن عشر او معركة واترلو.

وفي ايام اكتوبر الاولى، زار ضابطان انكليزيان، قدما حديثاً من اوربا، المستر «بلكومب»، وحملا اليه نبأ بلغ من هوله

●

منظر عام لمنزل وحدائق لونجوود



وغرابته مبلغاً جعل المستر بلكومب يردده عدة مرات ، قبل ان يفهمه . اما ابنته « بتي » فكانت تتصل بكل الاوساط في الجزيرة ، وتزور مختلف البيوت ، فتسأل هذا ، وتناقش ذاك ، ولذا فانها علمت ، قبل والدها ، ان البريطانيين اسروا نابليون ، وان قادة اوروبا قرروا نفيه الى بقعة نائية ، لا يستطيع منها خلاصاً ، وان النسر الفرنسي سيصل الى جزيرة « القديسة هيلانة » مع بعض قواده ومرافقيه الاسرى ، وان ثمة جهوداً تبذل ، في الجزيرة للبحث عن مأوى منعزل حصين ، ليكون سجناً لنابليون .

ولم تكن « بتي » مطلعة على شيء من التاريخ المعاصر ، ولا التاريخ القديم ، بل كل ما القي في روعها عن نابليون ، مع لداتها ألفتيات الانكليزيات ، هو انه عملاق ضخم مرعب ، بل هو غول جبار ، في وسط جبهته عين ملتهبة حمراء وفي فمه اسنان طويلة ناتئة ، وهذا الغول يغتذي عادة بالاطفال ، وهو طاغية بربري ، لا تربطه بالانسان اية رابطة ، متوحش ، ملأ الدنيا بجرائمه وفظائعه وضحاياه .

ولهذا دهشت الفتاة كل الدهشة ، حين لاحظت الهدوء الذي ران على وجه والدها حين تلقى نبأ قدوم نابليون الى الجزيرة ، ولكنها سرعان ما فسرت هذا الهدوء ، وعزته الى بطولة والدها ، وفي اليوم التالي اعلن المدفع قدوم « النورثمبرلاند » السفينة التي اقلت نابليون من اوروبا ، فهرع المستر « بلكومب » الى المرفأ ، وصعد الى متن السفينة ، ثم عاد الى المنزل ، وتقدمت « بتي » من والدها ، خائفة ، يدفعها الفضول وتردها الرهبة ، ثم هتفت :

— بابا ... هل رأيته ؟

لا . ان المستر « بلكومب » لم يره ، بل قدمه الضباط الانكليز الى رجال وسيدات لا تبدو عليهم مظاهر الوحشية والترويع . .

اما بونابرت فسينزله الحراس الى البر ، ليلاً ، ويضعونه في مكان ما ، ريثما ينتهي العمال من تحصين منزل « لونجوود » القديم ، حيث قرر حاكم الجزيرة حبس النسر .

وفي فجر اليوم التالي ، اكتظ المرفأ بالجماهير من سكان الجزيرة وبينهم اسرة « بلكومب » وقد اتوا من منازلهم النائية ، ليشهدوا هذا الحادث العظيم .

ولم تر « بتي » لخوفها — وقصرها — كبير شيء . بل لمحت مركباً يحاذي الرصيف ، وجنوداً ينتظمهم صف واحد ، وثلاثة رجال يمرون مسرعين : امير البحر « كوكبرن » والماريشال « برتران » وبينهما البعبع ذو السحنة المخيفة الغامضة ، المتخذة من الليل ستاراً ، ولمحت « بتي » ايضاً ، على صدر الفرنسي الجبار لألاء نجمة من الماس ، ثم تدافع الناس متناكبين ، واخذ الجنود يردون الفضوليين من الناس ، ولم تعد بتي تبصر شيئاً . وآن أوان العودة الى المنزل ، فعادت « بتي » هلعة ، تحمل معها شبح الفرنسي اللعين ، وجلست في الحديقة ، تودع ذكرياتها الناعمة الحبيبة ، لان الراحة والامان والرضى زالت جميعها بقدوم الغول ، وستمنعها جولاته في الجزيرة من الضحك والرقص والغناء ومن يدري فقد تمنعها من الحياة .

وفي تلك الليلة ، الم بالفتاة كابوس مخيف ، مليء بالصراخ والاشباح والتكشيرات .

وفي النهار التالي اتصل بها ان الغول بدأ نزهاته في طرق الجزيرة .

وجلست اسرة « بلكومب » وراء ترس من الاعشاب النامية والاغصان المتشابكة ، تتأمل الرجل الفرنسي ، بمنظار مكبر ؛ ورأته « بتي » على جواده ، وعرفته من قبعته ذات القرنين الشيطانيين والجواد يخب به في طريق « لونجوود » فالامبراطور ، يقصد ، بدون شك ، زيارة معتقله المقبل ، يواكبه بعض الفرسان .

وغاب الموكب بعد قليل وراء منحنى الجبل .

وفي اصيل النهار نفسه ، ظهر الفرسان مرة ثانية قرب « جيمستون » ولم يلبثوا عند وصولهم ، الى مفترق الطرق ، ان توقفوا برهة ، وتشاوروا ، ثم يمموا وجوههم شطر دارة « بلكومب » !!

وبلغ الخوف في نفس « بتي » مبلغاً كبيراً ، وكادت تعدو في الحديقة صارخة مولولة ، لولا ان المستر « بلكومب » قبض على ذراعها ، واقترب بها من شرذمة الفرسان المجتمعة قرب مدخل الدارة . وترجل الجميع — الجميع ما عدا « نابليون » . وعاودت الفتاة جرأتها ، وحظ صغير من فضولها ، فجازفت بنظرة الى الرجل الفرنسي المخيف ، فرأت ما اعجبها وادهشها : رجلاً غاية في الجمال ولم تكن تتصور من قبل ان الجمال الانساني يبلغ هذا الحد .

وترجل نابليون ، وقدم اليه الاميرال « كوكبرن » المستر « بلكومب » وابنتيه ، وبعد ان اثنى الامبراطور على المكان ، واطرى المنزل والحديقة ، بكلمات رقيقة ، تقدم خطوات وجلس ببساطة ، على مقعد خشبي ريفي .

وعادت بتي تتأمل جمال هذا الزائر الخارق ، ساخرة في سرها من وساوسها الماضية ومخاوفها المستطيرة ، وذاب رعبها اعجاباً وتقديساً . فانها لا تتذكر وجهاً اجمل من هذا الوجه ، في شحوبه وسكونه ودقة خطوطه ، ونبل تعبيره ، اما عيناه ، فتنضحان نفوذاً وبريقاً . وشعره البني الحالك يشبه في نعومته الحريرية شعر الاطفال ، وصوته الاخاذ الناعم موسيقى موحية تتسامى بالروح الى عالم نبيل .

وتكلم نابليون . فامتدح دارة « بلكومب »وجوها الساحر، وأبدى رغبته في سكناها . وسرعان ما اصدر اوامره باعداد جناح له في بيت « بتي » .

وجلس على العشب ، ونادى بتي لتجلس قربه ، فأطاعت وقد تضرجت وجنتاها بدماء الخجل والاكبار، وسألها بطل «اوسترلتز».

— اتعرفين الفرنسية يا « بتي ».

— نعم .

— ما هي عاصمة فرنسا ؟ — باريس

— وايطاليا ؟ — روما

— وروسيا .

— عاصمتها اليوم « بطرسبرج » وفي الماضي ، موسكو .

ونهض نابليون عند الكلمة الاخيرة . مثبتاً نظرة ملتهبة على الفتاة المسكينة وسألها بلهجة بعثت في نفسها الهلع :

— من احرق موسكو ؟

وتذكرت ان من يتحدث اليها ، كان يوماً ما سيد العالم ، وبطل ملاحم تكاد تكون خيالية ، فعاودها رعبها القديم وقالت :

— لا . . ادرى . . يا سيدي !!

فانفجر ضاحكاً وقال :

— بلى ، بلى تعرفين هذا . . جيداً . . انا يا صغيرتي انا احرقت موسكو ، ولم تتمالك الفتاة من القول :

— انا اعتقد يا سيدي، ان الروس هم الذين احرقوها ليطردوا الفرنسيين . .

فعاد الى ضحكه ، وامسك بيدها ، وسارا في الحديقة ، يتنزهان، بينما اخذ الخدم يعدون الجناح للامبراطور .

وبعد الغداء ، جاء الامبراطور ، على عادة الجيران ، ليزور اسرة « بلكومب » . ولما كان الجميع يجهلون الفرنسية فقد اتجه نابليون ببصره،الى « بتي » الصغيرةوراح يتحدث اليها عن مدرستها والموسيقى ، واهلها . . وطلب اليها ان تسمعه بعض الموسيقى فغنت له الفتاة انشودة ايكوسية Ye banks and braes واسمعها نابليون نشيداً حربياً لم تفهم منه الفتاة شيئاً ، اما هو ، فقد وقف، جامداً ، ثابت النظرة ، يحدق في الابعاد ، وكأنه يشهد موكب انتصاراته حياً متدافعاً .

بعبع زالت هيبته

هكذا كانت علاقة نابليون الاولى بالآنسة « بتي » وبعدها صح فيهما قول احد المفكرين « يجب الا تلمس الاوثان المقدسة ، وإلا بقي اثر من طلائها الذهبي في يديك ».

فما انتوطدت علاقة الفتاة بنابليون وزالت من بينهما الكلفة، حتى اخذت عند كل مناسبة تركض الى حجرة الامبراطور ، وتقطع حديثه مع « لاس — كاز »(وهو المؤرخ الذي ترك للاجيال مذكرات نابليون في جزيرة القديسة هيلانة) . وبتي طروب لعوب وتريد ان يشاركها الامبراطور طربها ورقصها وغناءها ، بل هي تذهب الى ابعد من ذلك،فتنهى وتأمر في حاشية الامبراطور، واحس نابليون ان السماء قيضت له هذه الفتاة ، لتلقي في نهاية حياته الحزينة ، لحناً سعيداً .

وامرت « بتي » « نابليون » يوماً بمرافقتها ، فاطاعها باسماً

ورافقها في ارجاء الحديقة ، وتوقفت لحظة تقدم اليه خلالها عبدا « سومطرياً » يدعى « طوبي » ، اختطف اختطافاً من بيته وعائلته واولاده الصغار ، ليعمل في حديقة اسرة « بلكومب » .

وراق للفتاة ان تضع هذين الرجلين احدهما في مواجهة الآخر . وقدم نابليون للاسود شيئاً من النقود الذهبية ، فشكره ، وراح يقص عليه مأساة حياته بشيء من التطويل ، لم يسمح به ملك من الملوك ، لنفسه ، في حضرة الامبراطور . . وفي يوم من الايام ، زارت بتي صديقها العظيم ، ووضعت بين يديه لعبة كانت شائعة بين الناشئة الانكليزية .

وهي لعبة تصور نابليون مرتقياً سلماً تمثل كل درجة من درجاته دولة اوروبية ، ثم ، حين يصل نابليون الى القمة ، ويجلس على الكرة الارضية ، ينزلق فجأة من الناحية المقابلة ، على ورقة بيضاء ، كتب عليها « واترلو » الى قطعة من الخشب تدعى « القديسة هيلانة ! » ولم يغضب هذا المزاح الامبراطور ، بل رأى فيه مادة غزيرة للضحك ، فترك الحديث عن امجاده الماضية ، وحمل اللعبة الى قواده ومرافقيه .

وكان « لبتي » صديقة من اترابها انقطعت عن زيارتها في منزلها خشية ان تلتقي بالغول . وكانت هذه الصديقة تدعى الآنسة « ليج » وتآمر نابليون مع صديقته « بتي » على ارهاب الآنسة « ليج » وتمثيل مهزلة على حسابها . وتعهدت « بتي » باحضار صديقتها الى المنزل ، وتعهد هو بتمثيل دور الحيوان المفترس ، عند هجومه على الزائرة ، وجاءت الصديقة في اليوم الموعود ، الى منزل « بلكومب » وسارت مع بتي في ارجاء الحديقة ، تتلفت هنا وهناك . حذرة خائفة . وفجأة بدا نابليون ، نابشاً شعره . زاوياً ما بين عينيه . مزمجراً .

وصرخت الزائرة الصغيرة ، رعباً وجزعاً ، وحاولت الهرب ، والمتها نوبة عصبية ، فجلست في الارض ، تهذي ، واغمي عليها ، فحملها الخدم ، بعيداً عن مسرح الحادثة .

وسر نابليون بهذا النصر واراد ان يكون كاملاً . فاتجه الى « بتي » وصرخ صرخات مرعبة ليخيفها كما اخاف رفيقتها ، ولكنها لم تعبأ به ، بل راحت تضحك بشدة ، ولم ييأس . فأعاد الصياح والشخير والاشارات المفزعة . ولكن عبثاً . فلم يبق له الا ان يقلد صرخة « القوزاق » الحربية ، ليؤثر في اعصاب الصغيرة ، ولكن جهوده ضاعت ضياعاً .

حزن نابليون ، حقيقة ، لعدم نجاحه ، وعبس في وجه صديقته ، وتولى عنها . .

ولكن الفتاة لم تكن لتسمح له بمفارقتها طويلا ، فعزمت على زيارته مصالحة منتقمة

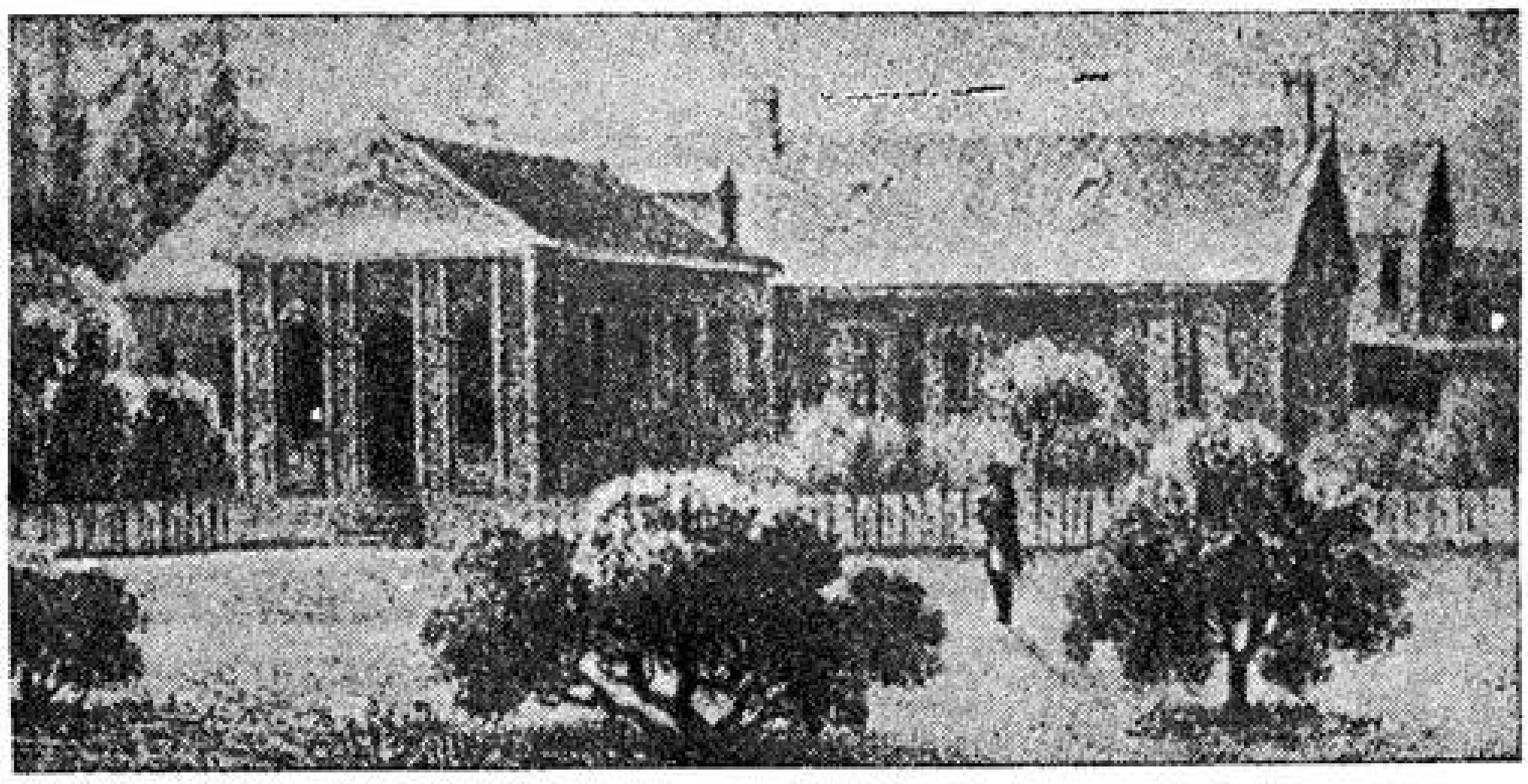
وبعد ايام ، زارت بتي صديقها الفرنسي ، ولم يكن يومذاك مستعداً للهو واللعب ، اذ ركز طاولة عمله في الحديقة ، وانصرف الى مشاغله ومطالعاته ، وجاءت بتي ، بكلب قذر ، صاحب حيل عجيبة ، وذكاء نادر . . ودفعته الى مياه الساقية ثم اشارت اليه من طرف خفي ، فوقف على قيد خطوة من نابليون وانتفض انتفاضة شديدة فأصاب الرشاش الموحل ، الامبراطور المستغرق في المطالعة . .

وقبل ان يفهم ما حدث ، تقدم الكلب اللئيم منه ، وراح يحتك به متحبباً .

وحكم المستر « بلكومب » في ذلك اليوم على فتاته « بتي » بسجنها اسبوعاً واسقط الامبراطور دعواه عنها ، ولكن المجلس العائلي لم يستمع اليه خصماً ولا مصالحاً ولا محامياً . فقضت الفتاة مدة سجنها في شقاء ، يزورها اثناءها ملك الملوك ، ويمد لها لسانه من بين القضبان الحديدية . .

لم تعرف « بتي » ، الا فيما بعد ، قيمة لهذه اللحظات الثمينة التي اتيح لها فيها ان تحيا الى جانب احد عظماء التاريخ ، وافترق الصديقان عندما تم اعداد سجن خاص « لنابليون » وشعرت الفتاة بان فترة من فترات حياتها المليئة قد انقضت ، اما النسر ، فأيقن ان الشعاع الزاهي السعيد الاخير ، في مسائه الحزين ، العاصف ، قد اختفى الى الابد .

نابليون في سانت هيلانة



الى لئيمة !

●●●

.. ماذا لديكِ .. فعندي   من راحتيك اعترافُ ! .
رسائـل .. ورسوم   تترى .. فماذا اخاف ؟
اكوام حب .. فهـذا   رسم .. وهذا غلاف ..
خزائني ، منـك ، ملأى   بيض .. وزرق لطاف
لا تحرجيني .. فثـأري   ثأر ... وسمي زعاف !.

***

.. وذاك .. رسم قديم   اطـاره رفـافُ
رسم لنا .. يوم كنا   بنا تضيء الضفاف
هنـا .. باحدى الزوايا   امضاؤك الشفاف
لا تهتفي .. ليس خطي   فللسطور هتـاف !
الحرف حرفك .. فيه   تأنق .. والتفـاف ..
هذي وثائق حقدي   وكلهـا اهداف !

***

.. وتصرخين .. « جبان »   زورٌ .. وقولُ جزاف ..
انا جبـان ؟ .. سوادي   ثلج .. وعهري عفاف ..

***

لا ، لن ينولك غيري   وفي يديّ اعتراف !..

القدس   نزار قباني

الوجودية عند سارتر

بقلم نهاد التكرلي

☆☆☆

الفلاسفة الوجوديون قسمان المسيحيون ومن بينهم يسبرز وجبرييل مارسيل ممن يدينون بالمذهب الكاثوليكي والملحدون وبينهم يجب ان نضع هيدجر والوجوديين الفرنسيين وجان بول سارتر ، ولكنهم جميعاً يشتركون في الاعتقاد بالحقيقة التالية : وهي ان الوجود يسبق الماهية . او بتعبير آخر ان الذاتية « Subjectivité » هي النقطة التي يجب الابتداء منها . وسنحاول في هذا المقال عرض موجز للفلسفة الوجودية عند سارتر الفيلسوف والاديب الفرنسي المعاصر منوهين بالعناصر الرئيسية التي تتميز بها هذه الفلسفة .

لا شك في ان لكل موضوع ماهية ووجوداً . والماهية « Essence » هي مجموع ثابت من الخصائص ، اما الوجود « Existence » فهو نوع من الحضور الواقعي في العالم . والفكرة المعروفة لدى اكثر الناس هي ان الماهية تسبق الوجود . فالبسلة الخضراء مثلاً تنمو وتستدير طبقاً لفكرة البسلة الخضراء اي ان ماهيتها تسبق وجودها . وهكذا نجد ان هذه الفكرة — وهي ذات اصل ديني — منطبقة على جميع الموضوعات في العالم . وجان بول سارتر يوضح هذه الفكرة فيقول اننا عندما نمعن النظر في شيء مصنوع ككتاب او قاطعة ورق مثلاً نجد ان هذا الشيء قد صنعه صانع من مفهوم او معنى كلي « Concept » استوحاه . وهذا الصانع قد استند بالتساوي الى مفهوم قاطعة الورق والى سابق صنعة فنية للانتاج تشكل جزءاً من المفهوم وما هي في الحقيقة الا طريقة للعمل . وهكذا فان قاطعة الورق شيء يصنع على نمط معين وله في نفس الوقت فائدة محددة . ونحن لا نستطيع ان نتصور رجلاً ينتج قاطعة للورق وهو لا يعرف لاي غرض سيستخدم هذا الشيء ، ولذلك نقول ان الماهية بالنسبة لقاطعة الورق — اي مجموع الطرائق والصفات التي تمكن من انتاجها وتحديدها — تسبق وجودها وهكذا فان حضور قاطعة ورق او كتاب ما امامي محدود ومعين ، ومن ثم فنحن لدينا رؤية لصنعة فنية « Vision technique » للعالم نستطيع ان نقول معها بان الانتاج يسبق الوجود وعندما نتصور الهاً خالقاً نشبه هذا الاله في الغالب بصانع اعلى .

ومهما يكن المذهب الفلسفي الذي نأخذ به سواء أكان مماثلاً لمذهب (ديكارت) ام لمذهب (ليبنتز) فاننا نسلم دائماً بان الاراده تتبع التطور قليلاً او كثيراً او ترافقه على الاقل ، وان الله عندما يخلق يعرف بالضبط ما يخلق . فمفهوم الانسان في ذهن الله مماثل لمفهوم قاطعة الورق في ذهن الصانع . والله اذن ينتج الانسان حسب طرائق فنية وتصور لهذا المفهوم كما يفعل الصانع تماماً عندما يصنع قاطعة للورق حسب تعريف وصنعة فنية . وهكذا فالانسان الفردي يحقق مفهوماً معيناً موجوداً في العقل الالهي . وقد بقيت فكرة ان الماهية تسبق الوجود سائدة حتى في الالحاد فلاسفة القرن الثامن عشر فهم عندما الفوا فكرة الله لم يمسوا فكرة تقدم الماهية على الوجود بل ابقوا عليها واننا لنعثر على هذه الفكرة في كل مكان تقريباً فهي موجودة عند (ديدرو) وعند (فولتير) وحتى عند (كانت) . فالانسان — كما يعتقدون — يمتلك طبيعة انسانية وهذه الطبيعة الانسانية التي هي المفهوم او المعنى الكلي الانساني موجودة لدى جميع البشر . اي بعبارة اخرى ان كل فرد بشري ليس الا نموذجاً مخصوصاً لمفهوم شامل هو : الانسان . اما (كانت) فيستخلص من هذه العمومية بان انسان الغابات وانسان الطبيعة هو كساكن المدن سواء بسواء وكلهم يقيدون بنفس التعريف

(١) كان اكبر ما اعتمدنا عليه في كتابة هذا المقال كتاب : « الوجودية نزعة انسانية » L'Existentialisme est un humanisme لجان بول سارتر

ويتملكون في الأساس نفس الصفات والمميزات . وهنا ايضاً تسبق ماهية الانسان هذا الوجود التاريخي الذي نصادفه في الطبيعة .

وقد بقيت هذه الفكرة الفلسفية سائدة حتى جاءت الفلسفة الوجودية فقلبتها رأساً على عقب اذ قالت ان الوجود لدى الانسان – ولدى الانسان فقط – يسبق الماهية . والوجودية التي جاء بها سارتر وأخذ اصولها عن الفيلسوف الالماني (هيدجر) ملحدة لانها تنتهي من هذه الفكرة الى انكار المبدأ المبدع . وهي فلسفة جريئة متماسكة تحاول جعل الحياة الانسانية ممكنة وهي تعلن بان الله ان لم يكن موجوداً فهنالك على الاقل كائن واحد يسبق وجوده ماهيته . كائن يوجد قبل ان يمكن تعريفه باي مفهوم وهذا الكائن هو الانسان او هو الواقع الانساني كما يقول هيدجر فما المقصود بذلك ؟ ان هذا القول لا يعني سوى ان الانسان يوجد اولاً ويصادف نفسه ويبرز الى العالم، ثم يمكن تعريفه بعد ذلك. اي ان من الواجب على الانسان ان يخلق ماهيته الخاصة بنفسه فهو عندما يقذف بنفسه في العالم ويناضل ويتألم انما يعرف نفسه قليلاً قليلاً وان مجال التعريف هذا يبقى مفتوحاً دائماً . فليس باستطاعة احدان يقول ما هو هذا الانسان قبل ان يموت ولا ما هي الانسانية قبل ان تختفي من الارض . فالانسان كما يتصوره الوجودي ان كان غير قابل للتعريف فلانه ليس بشيء في بادىء الامر . انه لن يكون الا فيما بعد وهو سيكون ما يصنع من نفسه . وهكذا نجد ان وجودية سارتر تقول انه ليست هنالك طبيعة بشرية ما دام لا يوجد إله يتصورها، والانسان ليس كما يتصور نفسه فحسب بل كما يريد نفسه كذلك وهو كما يتصور نفسه بعد الوجود يريد نفسه بعد هذه الوثبة نحو الوجود اي ليس الانسان سوى ما يصنع من نفسه .

ذلك هو المبدأ الاول للوجودية ونعني به الذاتية. وسارتر يقول ان ذلك لا يعني سوى ان للانسان مرتبة اعظم بكثير مما للحجر او المائدة مثلاً. والانسان عنده في بادىء الامر تصميم يرى، نفسه بصورة ذاتية بدلاً من ان يكون طحلباً او عفونة او قرنبيطاً وليس ثمة شيء سابق لهذا التصميم. اذ لا شيء مفهوم في السماء. والانسان سيكون اولاً ما قد صمم في ذلك الحين ان يكونه لا ما سيريد ان يكونه. اذ ان الارادة لدى سارتر هي قرار مدرك تكون لدى الغالبية منا لاحقة لما حدث نفسه بالذات. فانا مثلاً استطيع الانضمام الى حزب او تأليف كتاب او التزوج بامرأة وما هذ كله سوى اظهار لاختيار اكثر اصالة واقوى انبعاثية من ذلك الذي يدعى بالارادة.

ولما كان الوجود يسبق الماهية فان الانسان مسؤول عما يكون. وهكذا فان الخطوة الاولى لوجودية سارتر هي ان تجعل في حوزة كل انسان ما يكون عليه ثم تترك مسؤولية وجوده الكاملة تستقر على كاهله. غير ان سارتر عندما يبين بأن الانسان مسؤول عن نفسه لا يعني انه مسؤول عن فرديته بأضيق معناها بل يعني ان الانسان مسؤول عن جميع افراد الجنس البشري كما ان سارتر عندما يقول ان الانسان يختار نفسه يقصد من ذلك ان الانسان باختياره لنفسه انما يختار جميع افراد الجنس البشري ويضيف قائلاً: ليس ثمة عمل من بين اعمالنا لا يخلق في نفس الوقت الذي يخلق فيه الانسان الذي نريد ان نكونه صورة للانسان كما نقدر ان من الواجب ان يكون عليها. فاختيارنا لكوننا على هذه الحالة او تلك فيه تأكيد في الوقت ذاته لقيمة ما نختار لاننا لا نستطيع ان نختار الشر ابداً بل هو الخير الذي نختاره دائماً كما ان ليس هنالك شيء يمكن ان يكون جيداً بالنسبة لنا من دون ان يكون جيداً بالنسبة للجميع. فاذا كان الوجود يسبق الماهية ونحن نريد ان نوجد في نفس الوقت الذي نصنع فيه صورتنا فان هذه الصورة ستكون مقبولة وصالحة للجميع ولعصرنا بكليته.

وهكذا فان المسؤولية التي تظهرها لنا وجودية سارتر اعظم بكثير مما نستطيع تصوره لانها تلزم الانسانية باسرها. فلو اني كنت عاملاً – كما يقول سارتر – واخترت الانتماء الى نقابة مسيحية بدلا من ان اكون شيوعياً واردت ان ابين بهذا الانتماء ان الاستسلام هو في الحقيقة الحل الذي يلائم الانسان وان مملكة الانسان ليست على هذه الارض فاني لا الزم حالتي وحدها فحسب: بل اني اريد ان اكون مستسلماً لاجل الجميع ولذلك فان تصرفي قد الزم الانسانية بكاملها. ولو اردت – وهي حادثة اكثر فردية – ان اتزوج وانجب اولاداً فاني بهذا الزواج على الرغم من كونه يتعلق بوقفي او بهواي او برغبتي بصورة مفردة لا الزم نفسي فقط بل الزم الانسانية باسرها عن طريق الزواج بامرأة واحدة. فانا اذن مسؤول عن نفسي وعن الجميع واني اخلق صورة معينة للانسان الذي اختاره كما اني باختياري انما اختار الانسان.

وطبيعي ان هذا الانسان الذي يلتزم ويدرك انه ليس شخصاً يختار كونه فحسب بل هو في نفس الوقت مشرّع يختار ما يجب ان تكون عليه الانسانية باسرها. مثل هذا الانسان لا يستطيع الافلات من الشعور بمسؤوليته العميقة الكاملة. ولذلك فان وجودية سارتر

تعلن بان الانسان قلق. قد يقول البعض ان هنالك كثيراً من الناس هم غير قلقين ولكن سارتر يجيب ان هؤلاء الناس انما يضعون نقابا على قلقهم وهم يفرون منه . اذ لا شك في ان هنالك عدداً كبيراً من الناس يعتقدون بانهم عندما يفعلون لا يلزمون الا انفسهم . واذا ما قيل لهم :هبوا ان الناس جميعاً يفعلون مثل عملكم. فانهم يرفعون اكتافهم باستخفاف مجيبين . ان الناس لا يفعلون جميعهم هكذا . غير ان فلسفة سارتر تحتم على الانسان ان يسأل نفسه دائماً : ماذا يحدث لو عمل الناس جميعاً مثل هذا العمل . وسارتر يقول ليس بوسع المرء ان يفلت من هذه الفكرة المثيرة للجزع الا بنوع من سوء النية« Mauvaise foi »فهذا الذي يكذب ثم يعتذر معلنا : ان الناس لا يعملون جميعهم هكذا . ان هو الا شخص لا يحسن التلاؤم مع ضميره اذ ان واقعة الكذب تتضمن قيمة شاملة تختص بالكذب وان القلق (Angoisse) ليظهر حتى عندما تتنكر هذه القيمة وما هذا القلق الا ذلك الذي كان يدعوه كركيجارد بقلق ابراهيم .

فليس بوسع الانسان اذن الا ان يفعل. اما افكاره فما هي الا تصاميم والتزامات وما عواطفه الا مشاريع اي انه لا شيء سوى حياته وما حياته سوى وحدة تصرفه وسلوكه. فنحن اذن لا نوجد بل نصنع انفسنا ونحن عندما نصنع انفسنا نأخذ على عاتقنا مسؤولية جنسنا كلها ومهما قلبنا الطرف فاننا لن نجد اية قيم او اخلاق قبلية نستطيع الاستناد اليها بل نحن ملزمون في كل حالة ان نقرر وحيدين من دون ان يكون لدينا ملجأ يقينا او هاد يرشدنا سواء السبيل فكيف تريدون بعد هذا كله ان نزعم باننا نستطيع النجاة من الشعور بالقلق عندما نقدم على الفعل ؟ ذلك ما يقرره سارتر وان الفلسفة الوجودية لتعتبر القلق شعوراً اصيلاً ضروريا في الانسان غير ان هذا القلق لا يؤدي بالانسانية الى الركونية « Quiétisme » وعدم الفعل ، كلا ، انه قلق بسيط يعرفه كل اولئك الذين اخذوا مسؤوليات على عاتقهم . فعندما يتخذ قائد عسكري مثلاً مسؤولية هجوم ما ويقذف بنفر معين من الرجال الى الموت فانه يختار هذا الفعل وهو في الحقيقة يختار وحيداً . صحيح ان هنالك اوامر تأتيه من المراجع العسكرية العليا ولكن هذه الاوامر من السعة بحيث يكون من الضروري جداً صدور تفسير من القائد نفسه وبهذا التفسير تتعلق حياة عشرة او اربعة عشر او عشرين رجلاً . فهو اذن لا يستطيع الا ان يشعر بنوع من القلق في القرار الذي يتخذه ومثل هذا القلق يعرفه جميع القواد العسكريين الا ان هذا لا يمنعهم من الفعل بل بالعكس فانه الشرط نفسه لفعلهم لان ذلك يفترض انهم يواجهون كثرة من الامكانيات وهم عندما يختارون واحدة منها يدركون بان ليس لهذه الامكانية من قيمة الا لانها قد اختيرت . فالقلق الذي تصفه وجودية سارتر ليس ستاراً يفصل بيننا وبين الفعل بل هو جزء من الفعل نفسه وانه ليتحد اتحاداً تاماً مع معنى هذه المسؤولية الهائلة للكل امام الكل تلك المسؤولية التي تسبب ألمنا وعظمتنا .

ثم ينتقل سارتر الى مرحلة ثانية اذ يقرر ان هذا الانسان القلق متروك « délaissé » على هذه الارض ، هو متروك لانه لا يجد ان في نفسه او خارجاً عنه امكانية للتعلق بشيء ما . اذ لما كان المبدأ المبدع غير موجود فان كل امكانية لان يجد الانسان قيما في سماء مفهومة قد اختفت . ولم يعد بالامكان ان يوجد خير بصورة قبلية اذ ليس هنالك عقل شاعر كامل لامتناه يتصور هذا الخير . ونحن نرى ان البطل « اورست » في مسرحية « الذباب » يعلن قائلاً : « ان العدالة ليست الا قضية تتعلق بالبشر وانا لست بحاجة الى مبدأ مبدع لكي يعلمني اياها[1] ».

فليس مكتوباً في اي مكان ان الخير موجود وان على الانسان ان يكون شريفاً والا يكذب ما دمنا نحن بالمعنى الدقيق في ميدان لا يوجد فيه سوى افراد من البشر فقط . فالانسان متروك لانه لا يجد اعذاراً اذ لما كان الوجود يسبق الماهية فقد اصبح التفسير بالاستناد الى طبيعة انسانية معينة جامدة مستحيلاً بالمرة . اي بتعبير آخر ليست هنالك حتمية فالانسان حر والانسانية حرية هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فاذا كان المبدأ المبدع غير موجود فاننا لن نجد بازائنا قيما وأوامر تحل سلوكنا وتجعله مشروعاً . ويقول « اورست » مخاطباً جوبيتر :

« لقد شعرت بنفسي وحيداً وسط عالمك الصغير الحنون كأني انسان فقد ظله ولم يعد يوجد في السماء خير او شر ولا شخص يوجه الي اوامره[2] ». وهكذا فاننا لا نملك خلفنا ولا امامنا في نطاق القيم المتلألئ تبريرات او معاذير ومن ثم فنحن وحيدون وبدون اعذار وهذا ما يعبر عنه سارتر بقوله: ان الانسان محكوم عليه بان يكون حراً . وهو محكوم عليه لانه لم يخلق نفسه بنفسه ولكنه حر مع ذلك ، وما دام قد القي به مرة في هذا العالم فانه مسؤول عن كل ما يعمل فسارتر يعتقد اذن بان هذا

(١) مسرحية الذباب «Les Mouches» لجان بول سارتر ص: (١٠٦) .
(٢) المسرحية نفسها ص: (١٣٤) .

الانسان الذي تجرد من كل سند وحرم كل مساعدة محكوم عليه في كل لحظة بان يبدع الانسان ولذلك يستشهد معجباً بقول بونج. « الانسان هو مستقبل الانسان » على الا يكون هـذا المستقبل مدونا في السماء يدركه المبدأ المبدع ويراه لان هذا القول لن يكون صحيحاً آنذاك بل لن يعود هذا المستقبل مستقبلاً. ولكن يجب ان يفهم من هذا القول بانه مهما كان الانسان الذي يظهر على الارض فان ثمة مستقبلاً معداً للصنع، مستقبلاً بكرا في انتظاره. فالترك اذن يتضمن ان نختار كوننا بانفسنا وهو يسير مع القلق جنباً الى جنب .

والآن وبعد كل ما تقدم يجب ان نضيف بان الوجودية عند سارتر تعلن بان الانسان يائس . ومعنى ذلك اننا سنقتصر على الاعتماد على ما يتعلق بارادتنا او على جملة الاحتمالات التي تجعل فعلنا ممكنا . اذ من الخطأ ان يطمئن الانسان الى الامل لان الامل كما يقول سارتر اسوأ قيد للفعل . فهل كان على الفرنسيين مثلا ان يأملوا في انتهاء الحرب من تلقاء نفسها وبدون ان يساهموا فيها او هل لنا ان نأمل بان الطبقة الرأسمالية ستتنازل عن امتيازاتها عن طيب خاطر وبمحض ارادتها ؟ يقول سارتر ان الذي يهدهد نفسه على مثل هذه الآمال يجب ان يبقى منتظراً وهو مكتوف اليدين اذ لا يمكن للانسان ان يريد الا اذا ادرك أولا بانه لا يستطيع الاعتماد الا على نفسه وانه وحيد متروك على هذه الارض وسط مسؤولياته التي لا حد لها، وانه لا يمتلك اية مساعدة او ملجأ وان غايته هي الغاية التي سيعطيها هو لنفسه ولا مصير له سوى المصير الذي سيصنعه بيديه. فيقين الانسان هذا ومعرفته البدهية لموقفه هو ما يسميه سارتر باليأس «désespoir» فهو ليس ضلالا رومانتيكياً جميلا بل هو شعور جاف واضح للحالة الانسانية. وكما ان القلق لا ينفصل عن معنى المسؤوليات فان اليأس كذلك يتحد بالارادة اتحاداً وثيقاً كاملاً ولهذا نجد ان من اعماق هذا النوع من اليأس يبزغ فجر التفاؤل الحقيقي : تفاؤل الانسان الذي لا ينتظر شيئاً والذي يعرف حق المعرفة بانه لا يمتلك اي حق وليس هنالك أحد يدين له بأي شيء. تفاؤل الانسان الذي يبتهج بالاعتماد على نفسه وحده وبالفعل وحيداً لخير الجميع.

وسارتر ينقد الماركسية التي تطالب الانسان بان يعتمد في فعله على معونة الآخرين في كل مكان. أي تطالبني ان اعتمد في فعلي الذي سيتحدد جلياً بموتي على معونة الآخرين وما سيفعلونه في مكان آخر في الصين او في روسيا مثلاً من اجل مساعدتي. وفي الوقت نفسه تطالبني أن اعتمد مقدماً على ما سيفعله الآخرون بعد حين أي بعد موتي من اجل استئناف العمل والسير به الى كماله الذي يتحقق بالثورة كما يقول الماركسيون. فسارتر يجيبهم بأنه لا يمكن الاعتماد على رفاق مناضلين الا بالقدر الذي يكون فيه هؤلاء الرفاق ملتزمين معنا بنضال مقوّم مشترك وفي وحدة حزب او جماعة نستطيع مراقبتها قليلا او كثيراً وذلك يعني ان نكون اعضاء مجاهدين فيها وان نعرف في كل لحظة حركاتها واتجاهاتها. ويقول سارتر بانه لا يمكن الاعتماد على اشخاص لا نعرفهم مؤسسين اعتمادنا هذا على الصلاح الانساني او على اهتمام الانسان بخير المجتمع لان الانسان حر كما قلنا وليست هنالك اية طبيعة انسانية يمكن الركون اليها. اذ في الحقيقة ستكون الانسانية كما سيقرر الانسان ان تكون عليه. ولكن هل هذا يعني بان من الواجب علينا ان نستسلم الى الركونية ؟ يجيب سارتر كلا ، اذ يجب على الانسان ان يلتزم اولا ثم يعمل طبقاً للقاعدة القديمة القائلة: «بان لا حاجة للامل من اجل الشروع في العمل» اذ ليست الركونية سوى موقف الاشخاص الذين يقولون: بوسع الآخرين ان يفعلوا ما لا نستطيع فعله. اما فلسفته الوجودية فانها تضاد الركونية تماماً ما دامت تعلن: بان ليس ثمة واقع الا في الفعل. بل انها تذهب الى ابعد من ذلك لانها تضيف بان الانسان لا شيء سوى تصميمه وهو لا يوجد الا بالقدر الذي يحقق به نفسه فهو اذن لا شيء سوى مجموع اعماله لا شيء سوى حياته . ويقول سارتر ان فلسفته الوجودية ليست سوى مجهود لاستخلاص جميع النتائج من موقف ملحد متماسك وان هـذا الموقف لا ينشد ابداً اغراق الانسان في لجة اليأس الا اذا كان اليأس هو ما يطلقه المسيحيون على كل موقف بعدم الايمان، فانه عندئذ ينبثق من اعماق اليأس الاصيل . والوجودية هذه كما يقول سارتر ليست الحاداً للدرجة التي يفهم منها انها تستنفد جميع مجهودها للبرهنة على ان المبدأ المبدع غير موجود، انها بالاحرى تبين: انه على فرض وجود المبدأ المبدع فان ذلك لن يغير من المسألة شيئاً . فالمشكلة في نظر سارتر ليست وجود المبدع او عدم وجوده بل الواجب يقضي على الانسان ان يجد نفسه وان يقتنع بانه ليس هنالك شيء يستطيع انقاذه من نفسه حتى ولو كان برهاناً صحيحاً على وجود المبدع . والوجودية بهذا المعنى تفاؤل ومذهب للفعل يحاول جعل الحياة الانسانية ممكنة وان فلسفة سارتر لتحاول تحقيق هذه الغاية على نحو انساني.

العراق - بعقوبة

نهاد التكرلي

ليسانسيه في الحقوق

التضحية الخالدة

للكاتب الفرنسي **جي دي موباسان** ترجمة : **زكريا احمد فليبو** مدير مدرسة الحكمة بالقدس

☆☆☆

ما اعجب تلك الذكريات التي تستكن قلوبنا فتنثال علينا بين الحين والآخر في حال اليقظة والمنام . انها لذكرى خالدة تبدو امام عيني زاهية مزهوة قد لا تفارقني ، رغم ما تغمرني به الحياة من الخشونة والتزمت ، فكثيراً ما يجافيني اليسر الذي يجب ان يتوافر للمتأمل السابح في دنيا الخيال ، مع ان هذا الاسلوب لجدير بان ينمي في الخشونة والغلظة التي يخلقها الكبت نتيجة لاسلوب الحياة هذه ، ومع ذلك فقد كانت تحدوني الآمال الواسعة فانطلق الى دنيا الخيال حيث اجد فيها المتعة النضرة والبغية المطلوبة .

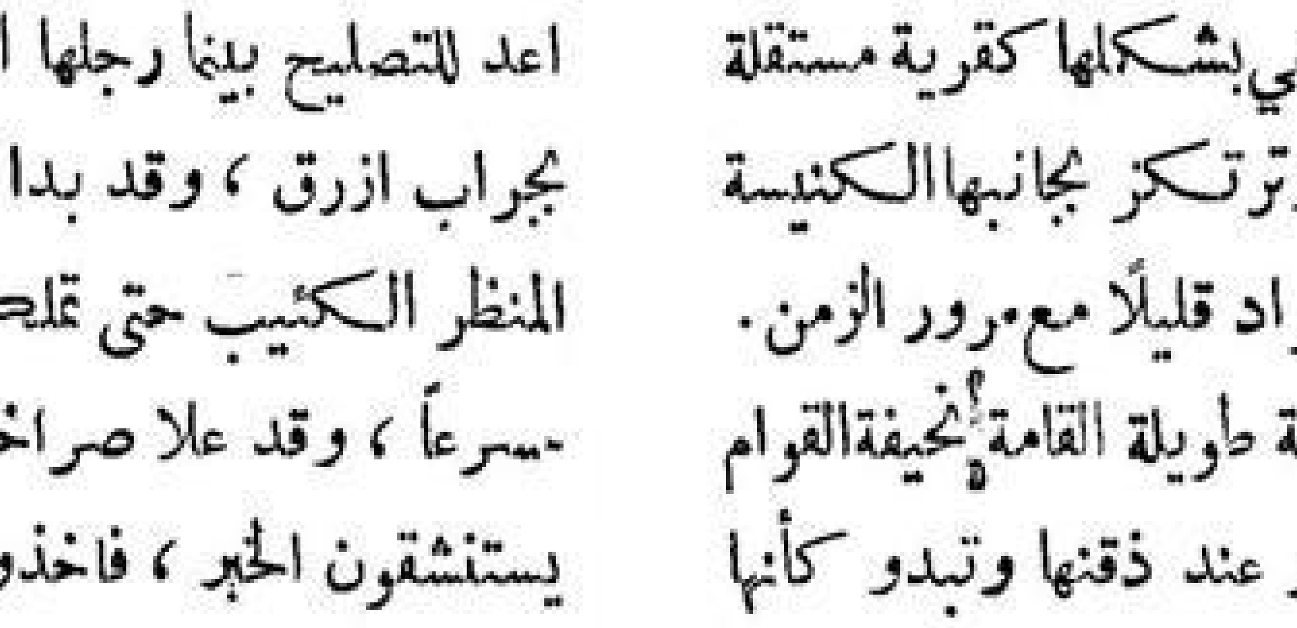
فلم يمض يوم الا وشبح تلك الخياطة هوريانس يتراءى امام عيني ، فقد عرفت ماضيها وانا في العاشرة من العمر حيث كانت تتردد الى منزلنا صباحاً في خميس كل اسبوع لرتق الملابس التي تجهزها والدتي وذلك في غرفة خاصة قد اعدت لها .

ويقطن والدي في احد المنازل التي تسمى بالسراي ، حيث كانت الابنية قديمة تكتنفها المزارع ، وهي بشكلها كقرية مستقلة لا تبعد عن سوق المدينة الا بمسافة قليلة وترتكز بجانبها الكنيسة التي يبدو لونها الاحمر اللامع ضارباً الى السواد قليلاً مع مرور الزمن .

وكانت الخياطة هوريانس امرأة مسنة طويلة القامة نحيفة القوام تكسو عارضيها شعيرات صغيرة ناعمة تغزر عند ذقنها وتبدو كأنها لحية رجل ، وتسترسل على كتفيها هالة مجعدة من الشعر . وقد كانت تتعرج في مشيتها وذلك لان احدى رجليها كانت اطول من الاخرى فتراها كأنها السفينة حينما تمخر عباب البحر في الريح العاتية ، وعلى رأسها قبعة كبيرة بيضاء مذيلة بقطعة من الحرير يحركها النسيم باستمرار .

لقد احببتها كثيراً حيث كانت تضفي علي من حنانها الجم الغفير فاجد العطف الشامل والعناية القصوى ، وكثيراً ما كانت تقص علي الاقاصيص الممتعة التي لا ازال اذكرها منذ عهد الطفولة وهي رغم كبر سنها الذي قضى على بهائها وجمالها ، كانت تنظر الي نظرة اعجاب في غموض وتأملات حيرى .

وفي ذات يوم صحبت الخادم الى الغابة المجاورة للقرية ، بعد ان تركت الخياطة ، وقد فرغنا من الحكايات ، حيث يكثر هناك شجر البندق ، وجلسنا تحت الاشجار وقد دار بيننا حديث ممتع صحبته ملح وطرائف ، وبينا انا على تلك الحال حفزتني الرغبة الصبيانية للعودة الى الخياطة هوريانس ، التي كنت معجباً بحكاياتها ، فغادرنا الغابة وافترقنا ، ثم قفلت راجعاً الى مكاني المعهود ، فما ان وصلت وفتحت باب الغرفة حتى رأيت الخياطة العجوز مضجعة على الارض بجانب كرسيها الذي اعتادت الجلوس عليه ورأسها منخفض الى اسفل ، واحدى ذراعيها ممدودة ولا تزال الابرة بين اناملها ، وتمسك بيدها الاخرى احد قمصاني الذي اعد للتصليح بينما رجلها الطويلة قد تمددت تحت الكرسي ملبسة بجراب ازرق ، وقد بدا خيالها على الحائط ، وما ان شاهدت ذلك المنظر الكئيب حتى تملكني الاسى ، واستبد بي الخوف ، فرجعت مسرعاً ، وقد علا صراخي ، فهرع الجميع الى مكان الحادث يستنشقون الخبر ، فاخذوا ينظرون الى تلك المسكينة بنظرات واجمة حزينة ، ويتناجون في همس ، وما هي الا بضع دقائق حتى اخبرت بانها قد لفظت انفاسها الاخيرة ، فمشيت بهدوء الى غرفة التصوير وقبعت في ركن مظلم فيها بحيث لا يراني احد ، وبدأت اجهش بالبكاء ، وبقيت على تلك الحالة الى ان خيم الظلام ، فرأيت رجلاً يدخل الغرفة وبيده مصباح ويصحبه والدي ، وكان ذلك



الرجل هو الطبيب الذي استطعت ان اعرفه من صوته الخشن ، وكان قد حضر فور وقوع الحادث، فجلس وبيده كأس من النبيذ وبعض البسكويت ، وجلس والدي بجانبه ، ثم اخرج لفافة من جيبه ، وبدأ يشرح سبب ذلك الحادث المؤلم .

وكان كلما نفث دخان لفافته ينفث معها انات مكلومة ، ولكني لم افهم شيئاً مما قاله سوى كلمات لا ازال اذكرها، قال: (بعد ان تأوه آهة كادت تتكسر لها ضلوعه) .

لقد عملت جهد طاقتي لانقاذ تلك المسكينة ، وحتى لم يتسع الوقت لغسل يدي، فيا له من حادث مؤلم، واخذ يسرد قصتها قائلاً :

لقد كانت هوريانتس المسكينة في السابعة عشرة من عمرها كالقمر في اوج اشتعاله وضيائه ، فلا تجد الا الطامع في جمالها ، وانني لم اكن اعرف قصتها سابقاً كما لا يعرفها اليوم احد غيري ، سوى شخص كان يقطن بجوارها .

وكان سيجيسبرت المساعد الاول لرئيسه المسيو غرابو الذي كان يشرف على مشغل الحياطة ، وقد كان انيقاً في شكله، محبوباً لدى جميع الفتيات اللواتي كن يلتففن حوله ، غير انه كان مترفعاً ذا انفة ، ورام ان يبسط قدره على الناس ، فيحدق اليهم حيناً غير بهم ليرى ايهابونه ويحبونه بما يجدر بمكانته الرفيعة .

لقد اشتعل قلبه بحب تلك الفتاة الحسناء ، واخذ ينظر اليها بنظرات عطشى ويبتسم لها ابتسامات رحبة ، فاعلنت هوريانتس بخفة روحها العذبة . ايلوح لك اني اريدك؟ وقد هوت اسيرة في حبه .

وذات يوم اخذ يبادلها النظر، ودارت بينهما الاحاديث التي كانت تصحبها تنهدات عميقة ، واخيراً نجح في استمالتها الى لقائه في الطبقة الاخرى للمشغل ليلاً بعد الانصراف من العمل .

وما ان حان الليل حتى تظاهرت هوريانتس بالذهاب امام المسيو غرابو ، غير انها صعدت الى الطابق العلوي ، وانزوت بين القش تنتظر عشيقها سيجسبرت ، حتى اقبل ، فدار بينهما حديث ذو شجون ، وقد تبدى جسدها اللدن امام عينيه مفاتن لا تلبث ان تغمرها رقائق هفافة من غلالة موشاة تزيدها فتنة ودلالا .

وما ان بلغت النشوة ذروتها حتى انفتح الباب عن الرئيس وقد ارتسمت على وجهه امارات الغضب ، وقال « ماذا تعملان هنا » .

فشعر سيجيسبرت بوقوعه في مأزق حرج ، حيث استبد به القلق ، فقال . « جئت لاستريح قليلاً في هذا المكان » ، وقد كانت الطبقة العليا واسعة جداً وقد خيم عليها الظلام ، فهمس الى هوريانتس ان تختفي كيلا يراها المسيو غرابو .

غير ان الرئيس كان قد سمع الهمس، واستطرد كلامه قائلاً . «لا لم تكن وحيداً يا سيجيسبرت . . »، «اجل اني وحيد بنفسي يا مسيو غرابو» « لا انت لست وحيداً هنا ، فقد سمعتك تتكلم » قال المسيو غرابو .

فاقسمت له ، ولكنه لم يقنع ، فرأيته قد نزل يريد ان يحضر مصباحاً ، بعد ان اوصد الباب ، وما كان من سيجيسبرت الا ان فقد وعيه ، وقد تميز غيظاً من تلك الصدمة المفاجئة ، واستأنف كلامه قائلاً « اختفي يا هوريانتس ، والا فستحرميني لذة الحياة وتكونين سبباً في القضاء على ترف عيشي » .

« وان كلمات كهذه لا يتفوه بها الا جبان نذل » ، قال الطبيب، ثم استطرد قائلاً . « وبينما هما على تلك الحالة، اذا بصوت المفتاح يعبث بالقفل ، فاسرعت هوريانتس الهيفاء الى النافذة واطلت برأسها الى الشارع ، وقالت بصوت منخفض . « ساعتمد عليك بالرجوع يا سيجيسبرت « وهوت بجسمها الى الارض، واخذ المسيو غرابو في البحث، غير انه لم يجد احداً فتولته حيرة عظيمة . »

لقد اتاني المسيو سيجيسبرت بعد ربع ساعة تقريباً من هذا الحادث ، وقص علي قصته بينما ظلت هوريانتس مضجعة في الشارع على جدار حائط قريب من النافذة، فغادرت مكاني مسرعاً لانقاذها وكان الجو ممطراً حيث كان هطول الامطار غزيراً، واندفعت المياه سيولا في الطرق ، واخذت ابحث عن تلك الفتاة البائسة الى ان اهتديت الى مكانها، فاتيت بها الى البيت، وقد تشققت ساقها في ثلاثة مواضع وبرزت منها العظام، فتألمت كثيراً لحالها، ولكنها لم تتفوه باية كلمة الا كلمات قليلة حيث قالت . «انني عوقبت وكان الجزاء حقاً» .

فارسلت الى المسيو غرابو والى جميع صديقاتها العاملات في المشغل اعلمهم بان هوريانتس قد اصطدمت بعربة كانت تمر قريباً من منزلي ، وكان ذلك سبباً في آلامها وبتر ساقها، فآمنوا بكلامي، وقد اخبروا رجال الشرطة عن الحادث، غير انهم لم يعثروا على الجاني .

واني لاعد تلك الفتاة بطلة من الابطال العظام الذين يشهد لهم التاريخ .

لقد قضت وهي لا تزال بكراً حيث ضحت بروحها السامية لحبها الطاهر ، وانها لرمز الوفاء والاخلاص .

واخيراً انقطع الطبيب عن الكلام، وقد ثارت عواطف والدي واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم غادروا الغرفة ، وبقيت ثابتاً في مكاني ، وغلبني البكاء ، واذا بضجة قد علت في الخارج ، وكان ذلك جثمان هوريانتس العذراء الذي شيع الى مقره الاخير .

القدس زكريا احمد فليو

الشاعر المحتضر

للشاعر لامرتين

ترجمة

محمد غبنالي

☆☆☆

كأس عمري تحطمت وهي ملأى   وحياتي تبددت زفرات
زفرات طويلة هي انفاس المنايا سفيرة الظلمات ..
لا دموعي بمنقذات من الموت شبابي ، ولا صدى آهاتي
وجناح الردى على الجرس المحزون دق الاخير من اوقاتي
ازفت ساعتي فهل أتغنى ؟ ام تراني انوح عند مماتي ؟

***

سأغني ما دمت امسك بالقيثار والموت ملهما اسماعي
ساغني فالموت في ضفة المجهول اوحى الي لحن الوداع
ملء نفسي نبوءة لي اوحاها ضميري ، وبثها إبداعي
ان روحي في هذه الارض ما كانت سوى الحب او سوى الايقاع
فليكن لحنها الاخير غناء قدسياً به وداع حياتي

***

كل قيثارة اذا حطمتها الريح تغنى في صبوة الانغام
والسراج المريض يلفظ انفاساً ، وينهي حياته بابتسام
وعلى عتبة الفناء يضيء الموت من حوله ، قبيل الحمام
كل شيء قبل النهاية يشدو بوداع ، وصبوة ، وغرام
غير هذا الانسان فهو حزين لزوال الحياة ، ذو حسرات

***

لم ابكي الايام؟ ما هي؟ ما العيش وهل يستحق عمري بكائي؟
هو شمس ، وبعدها الشمس ، ساعات وتتلو الساعات في ابطاء
ساعة اقبلت تشابه اخرى ادبرت ، والحياة لحن شقاء
هذه تأخذ العطية من تلك ، فهذا العمر مسترد عطاء
وعناء ، وراحة ، وانين اكسبته الاحلام بعض رواء
هو نور الحياة ، لكن جناح الموت يلقي على السنا ظلمات ...

***

فليغص في الدموع من أبصر الموت يلاشي المعسول من احلامه .
والذى تشغل التعلات والاشياء افكاره وخفق هيامه
وليعش خائفاً طريداً الى البؤس شريداً الى سراب غرامه
وليكن كالنبات يمسك بالصخر ليبقي على سني اعوامه
غير اني في الارض لم الق جذراً بل تساميت عشبة في مهامه ..
كشعاع محلق اترك الارض واسمو في لهفة الامسيات ..

***

انا طير من العوابر ما أنشأ عشاً ولا ألم بغصن
انا طير من العوابر بالشطآن قد مر كالنسيم يغني
وسوست غابة من البر تدعوه وحفت بسحرها المطمئن
فنأى ينشد الغوارب والامواج لحن الهوى ولحن التمني
جهلت عنه كل شيء دناه غير صوت مهدهد الرنات

***

انا غنيت في طفولتي الحسناء ، وحدي على صدى اوتاري .
انا وحدي عرفت قلبي فغنيت وحيداً روائع الاشعار
الهمتني السماء والوحي لا يؤخذ بالعلم ، فهو صوت الباري
وكذا النسر طبعه قمة الاجواء ، والنحل صبوة الازهار
يصنع الشهد ، جهده ، وانا اشدو وجهدي قصيدتي ودواتي .

يا دموعي رويت قيثارتي الظمأى ، فراحت في يأسها تتغنى
يا دموعي ما انت الا ندى الفجر على سوقه تفجر حسنا !!
العناقيد بالعصير يرجحن ليملأن بالاناشيد دنا
وترين الطيوب تعبق ان ديست ويخبو عبيرها مطمئنا !!
فانزلي ضربة القضاء فما انت سوى الغيث فوق ارض مواتي.

***

يا الهي خلقت من لهب النيران روحي فكان صرح عذابي
كل شيء عشقته ذاب في النار ولاشته عاصفات شبابي
كل شيء لمسته صار اعصار غبار وزعزعاً من تراب
وتموت القلوب في البيد ظمأى وفؤادي قضى لفرط الشراب .
وحياتي زالت كعوسجة من النار بعد العواصف المشعلات .

***

ومرور الايام ؟ — آثار فلك ورؤى المجد ؟ — نفخة من رماد
والعلى صرخة على الدهر جوفاء تعالت فسحة الآباد . .
انتَ يا مجد خدعة يحفظ الابناء فيها اسطورة الاجداد
فهي يا حياة مجداً لمن شئت ، فما المجد غير وهج سراب
خلد الناس بعضهم بالاباطيل ولم يملكوا سوى ساعات

***

مجهد يستريح في غفوة الموت وقلب يفر من اوصابه
يتغنى قبل الزوال بذكراه ، ويحيي الرفات لحن عذابه
كيف تبقى اناته ابد الدهر وتسمو على فناء ترابه
كيف يبقى عبيره ؟ بعد ازهار جمال عبقن عبر شبابه
أهو المجد ؟ اي مجد ترى هذا ؟ أمجد الزوال والسخريات

***

ها انا الآن اترك المجد للدهر فما المجد غير وهم زوال . .
انه « اسمي » فهل يخلد ام يفنى ؟ سواء لديَّ فعل الليالي.
اتراني اعز لو خلد الابناء ذكري ، ورددوا اقوالي
اتراها تزيد شيئاً ، وتسمو بمعان جديدة وخصال ؟
اترى الطير حين يعتنق الجو يبالي ، من حالق ، بالظلال ؟

***

لمَ غنيت ؟ سل عندليب الروض في الفجر عن معاني الغناء
حين يشدو مزقزقاً في سكون الليل ، مستلهماً خرير الماء.
سل سواقي السهول لمْ تتغنى وانين الرياح في الاجواء.
انا غنيت مثلها يا رفاقي دونما رغبة ودون عناء
يا رفاقي غنيت كالنهر ، كالاطيار ، كالصدر ملهم النفثات

فالغنا ، والصلاة ، والحب ايامي ، ومعنى عمري وعنوان مجدي.
ساعةَ الموت ما اسفت على شيء فلن تبصري دموعي ووجدي
ساعة الموت لن تري غير طهري ورنوّي نحو السماء ، وزهدي
ساعة الموت ان غيبوبة القيثار نحو السماء تحمل عهدي
انا عاهدت كل شيء نبيل فسلي الله عن مدى تضحياتي

***

تحت عرش الجمال اجثو وقيثاري شرود مسلسل الانغام .
وأراها . . حبيبتي . . تتحاشاني وتبكي وحيدة في الظلام . .
اقبلي . . اقبلي فذاك شرودي وشحوبي ولوعتي وهيامي . . .
في جفون معبودة قد أرى الدمع يواسي قلبي الجريح الدامي
صبوة العمر دمعة من حبيب زخرت بالحنان لا الآلام
كندى الفجر في نسيم حنون حين ينهلّ عن زهور الفلاة .

***

رب عذراء الهمتني دعتها ساعتي والردى يغل صبايا
نظرت للسماء في لوعة حرى لتجلو عبر السماء خفايا
بابتهال كأن اجنحة الطير حبته التحليق فوق المنايا
طوقتني بذلة وخشوع شاعري لا تمتْ ، وعد لدنايا
غير اني كالصوت انساب في رفق وتفنى في حضنها آهاتي . .

***

لا تقيمي قبراً يدل على بؤسي ولا تحفري معالم لاسمي . .
وعلى ظلي السعيد طويلاً لا تقيمي صخراً يحطم جسمي
بل دعيني في الارض ، في باطن الارض ، سعيداً انام في حضن امي
وغداً ، في الربيع ، عودي الى ارض رعتني ؛ وبالزهور المي
واتركي فسحة يصلي عليها بائس كان مخلص الصلوات .

***

حطمي وانثري على الارض قيثاري فما عدت شاعراً ذا زفير.
عبثاً يا انين يا حزن ! فالأصداء ماتت في خاطري وضميري.
ان روحي تسمو على جانح الموت الى الله مبدأي ومصيري
انا امضي حيث الرغائب للروح ، وحيث الآمال دفقة نور
حيث تبقى سعادة لم اشاهدها وخير ما كان بالمنظور

***

انا صوت يعود نحو شفاه الله بعد الدوي في الظلمات

محمد عيتاني

من المساء الاخير

بقلم يوسف الشاروني

أيها الشاعر قم خذ نايك ، ولتذهب الى شط المحيط اللامحدود ، وهناك قف لحظة ، ثم الق نظرة تجمع فيها الكون كله.

ثم اجلس على الشاطىء الجميل واعزف لحناً من ألحان مسرتك ، وانتظر ذاك الزورق المتهادي على سطح المياه حتى يصل اليك ، واذ يقف امامك فلتقم . . . ولتلق بالناي الاصغر ، لانك ستجد الناي الاكبر ينتظرك في الزورق الجميل.

اعزف عليه هذه المرة لا كما عزفت على نايك الاول ، اعزف عليه في حماس ، بقلبك وعواطفك لا بفمك وهواء أنفاسك ، اعزف عليه حتى يأتي الناس من كل صوب ليسمعوا الحانك معجبين ، واعزف عليه حتى تنتهيا معاً .

واذ ذاك سينقلب الغدير بحراً هائجاً ، وتثور الرمال الساكنة وينبثق الليل الذي طالما امتلأ بأغانيك ، وستكشف المياه عن جثة شاعر بجانبه نايه الاكبر.

وانا كنت نايا وكنت عازفاً في آن واحد ، وانا كنت زورقاً يجمع العازف والناي ، وانا كنت الغدير الهادىء الذي انقلب محيطاً متلاطماً ، وفي البدء كنت الناس الذين يأتون ليسمعوا معجبين دون أن يفهموا ، وفي لحظات اكون انا الكون كله بمحيطه وزورقه ونايه ورمله وناسه.

***

أتذكرينه يا اختاه ذلك الرجل المكتنز الذي اقبل الى جزيرتنا في الربيع الماضي؟ لقد زار دارنا وأحب ان يهديني ثوباً براقاً غريبة الوانه ، فرددته قائلة : ستضحك مني اخواتي لو ارتديه ، نحن دائماً عريانات كما ترى يا سيدي . لكنه مضى حزيناً ، ولم يعد من يومها يا اختاه.

وتذكرين أيضاً ذلك الرجل الاشيب حين اقبل الى جزيرتنا في القيظ الماضي ؟ لقد زار دارنا وحاول ان يهديني كتاباً من صفحات بيضاء بها خطوط سوداء ، فرددته قائلة : ستلوثه صديقاتي لو أخذته ، نحن لا نعرف القراءة كما ترى يا سيدي . لكنه مضى حزيناً ولم يعد من يومها.

وتذكرين ذلك الملك الشاب عندما اقبل الى جزيرتنا في يخته بالامس ؟ لقد جاء الى دارنا يأوي من جفاف الخريف . وحين رآني ربت على كتفي واعطاني صفائح قال ابها



« نقود من ذهب » فرددتها قائلة : ماذا نفعل بها نحن هنا لا نتعامل الا بالاصداف والحصى. فلم يتم ليلته، وانصرف الى الابد يا اختاه.

لماذا يمضون جميعهم في حزن يا اختاه حين نرد لهم هداياهم ولا يعودون؟ اتراهم يذهبون في البحث عن جزيرة اخرى، فيها من يتقبل هداياهم؟ انت تعلمين ان اهل الجزائر يفضلون الرقص مثلنا . . . واخشى ان تظل هداياهم لهم يا اختاه.

***

عندما بدأ النهار يولي، ظننت يا اصدقائي انني سأقضي ليلي وحيداً في الظلام. فقد أمضيت نهاري في اللهو والرقص ناسياً ان الليل سيأتي فما اعددت مدفأة ولا مصباحاً. وكان عواء العاصفة في تلك الليلة مخيفاً. وما توقعت احداً يأتيني في وقت تلك موسيقاه. لذلك أغلقت بابي وشددت على رتاج نوافذي خائفاً ان تكتسح العاصفة غرفتي الصغيرة.

وكنت اخشى الليل ان يطول، والظلام يعمق وعواء العاصفة يعلو. وفجأة ملأ النور جوانب غرفتي. ولمحت مدفأة امسك بها شبح امرأة مسترسل شعرها. وحين دنوت منها لمحت حدقتيها في الظلام تنظران في وجل وهي تصيح : آه. . . لقد اخطأت المكان. وحاولت ان امسك بشعرها المسترسل فرمت في وجهي بجفنة من فحمها المتوهج ثم غابت.

والآن لم اعد في حاجة الى مدفأة ولا مصباح، فقد جلست اقرأ كتابي على ضوء فحمها المتوهج وقد امتلأت يداي بالحروق. وكلما أتى الشتاء واقبل ليله العاصف وجدت فحمها المقدس الخالد لا يزال ينيرني ويدفئني وتعود الحروق تنزف ايضاً من جديد لهذا لم اعد اخشى ابداً يا اصدقائي ان اقضي ليلي وحيداً في الظلام.

***

في حديقتي زاوية مهجورة يا اصدقاء، لم يقربها فأسي ذات يوم ويغمرها لون من تراب. تكدست اشواكها في عزلة وصمت ابديين، بينما تزدهر الورود كل ربيع وتذوي كل خريف في بقية حديقتي.

لكن يبدو ان بذرة سحرية حملتها الريح مني هناك، فذات فجر خريفي لمحت برعماً يستيقظ بين هاته الاشواك، بينما الشتاء كان آتياً، وزهور حديقتي كلها تندفع في اضطراب تختفي بين اغصان اشجارها الجرداء.

واقبل الشتاء، فكنت كلما خرجت الى حديقتي رأيت البرعم السحري يتفتح في ارتعاش، مغموراً في دموع الليل، مستنشقاً غبار العاصفة، مصبوغاً بلون البرق، بينما الزهور كلها احتمت بين احضان اغصانها السمراء.

وقبيل الربيع اصبح البرعم وردة عميقة الالوان مثقلة بالرحيق، واختفت رائحة الواحل المختلطة بعطرها العنيف، واستيقظت زهور حديقتي تنفض عنها الاحضان التي اوتها في الشتاء.

واخيراً حين اقبل الربيع خرجت ابحث فرحاً عن صديقتي بين الاشواك، لاشهدها تتمتع بالحياة والجمال، واريها في سذاجتي روائع ما راتها في الشتاء . . . ولكن صدقوني يا اصدقاء اني ما وجدتها هناك.

***

في وسط حقل من الشوك استطاعت وردتان ان تنموا، وكانت احداهما جميلة متدفقة بالحياة، والاخرى شاحبة صفراء.

وقد اعجب الناس جميعهم بالجميلة المتدفقة بالحياة ولم يعيروا التفاتهم للشاحبة الصفراء حتى اتيح لقاطف ان يقطف الجميلة المتدفقة بالحياة.

اما الوردة الشاحبة الصفراء فقد تركوها ترتعش. كانت تتمنى انساناً واحداً يأتي ويقتطفها، فتتخلص له وتعبده مدى الحياة. لكن الوردة الجميلة كانت قد جذبت انظار الجميع فلم يستطيعوا رؤية الشاحبة الصفراء.

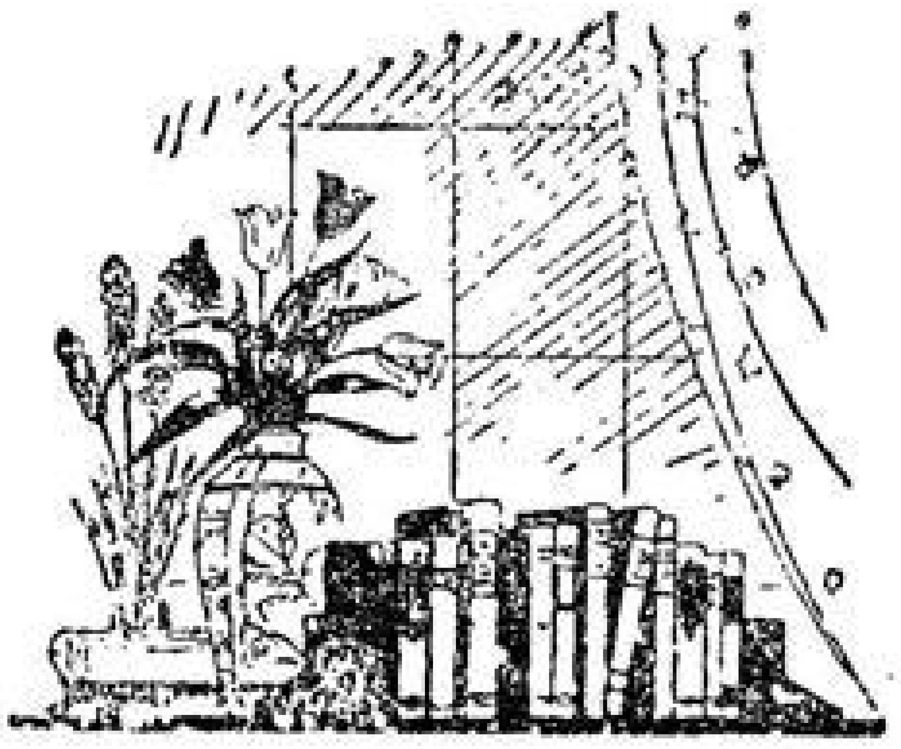
اما قاطف الوردة الجميلة فقد ظل خائفاً منها وخائفاً عليها. فقد كان هناك كثيرون يحومون حولها يحاولون الاقتراب منها، وكانت هي تلحظ ذلك فترقص في نشوة وكبرياء. حتى احس ان كلاً منهما يقيد الآخر في اساره فتركها تذهب الى المعجبين بها.

وخرج الى الحقل يبحث عن وردة اخرى. وهناك وجد الشاحبة الصفراء. فجرى مسرعاً نحوها علها تكون خيراً من الجميلة المتدفقة بالحياة. لكن حين اقترب منها ليقتطفها وجدها قد ماتت وحيدة بين دموعها واحزانها.

***

كان الصبي قد ترك المدينة منذ الفجر وظل يحفر طوال الصباح في هذي الارض الجبلية حتى حصل على كومة من الذهب بهر نورها عينيه. وقبيل الظهر كان العرق يتصبب منه بغزارة، وكان الجوع قد انهكه، فجلس يأكل ويستريح، وغلبه النوم فنام.

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً

او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ Direct. : 92 - 47 / المنزل : ٣٧ – ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

وعندما استيقظ وجد ان كومته تحولت جميعها الى تراب الا من ذرة تبرق هنا او ذرة تلمع هناك. فانزعج الصبي وهاله ان تستحيل كومته الى تراب.

وكان يقطن في هذه الناحية راهب شيخ يزعمون ان عمره كالانسانية. فاسرع الصبي يقص عليه قصته. فابتسم الراهب وقال: تلك طبيعة المعدن في هذه الارض يا ابني ، ان اكثرها يستحيل مع الزمن الى تراب ، لكن لا تنسَ انك حصلت على ذرة او ذرتين هما اغلى من ذهب العالم كله. وعندما عاد الصبي بدأ يحفر من جديد.

وفي المساء مرّ الراهب فوجد كومة كبيرة من التراب الى جانبها جثة من تراب لكن كان ثمة ذرات من الذهب تتلألأ ، فالتقطها الراهب الشيخ في خبرة ، وعاد بها يضمها الى ذهب صومعته الكثير يستنير به كعادته اثناء الليل.

وفي الصباح التالي كان الراهب يبسم وهو يسمع ضربات معول جديد.

***

عندما انجاب الظلام، قام العالم واقفل الكتاب واطفأ المصباح وتنفس الصعداء. لانه انتهى هذا الفجر من تأليف كتاب انفق فيه كل حياته. كان قد اكتشف حقيقة هائلة سيقدمها اليوم للناس في هذا الكتاب. وكان فرحاً لانه احس خلود اسمه لمدى اجيال عديدة.

ثم خرج يرى طبيعة حرم نفسه منها زماناً طويلاً، فمر بفلاحين يتنازعان مليماً وجداه على الارض. فالتفت اليهما ، واعطى المليم لاحدهما واخرج مليما آخر للغلام الثاني. وحين رآهما يغادرانه قفزاً كان اكثر فرحاً لانه احس خلود روحه هذه اللحظة.

***

اذا كنت ازعجتكِ فاغفري ازعاجي..

فاذا جلستِ ذات يوم تقرأين كتابك ساعة الغروب ، فبعثت بعض السطور ذكراي ، لا تبخلي عليّ بلحظة ، بل اقفلي كتابك ، ثم اغمضي عينيك ، واسمعيني من داخلك، فربما وصلتك انغام نايي يردد صداها غروب رهيب. حتى اذا ما اخذت تبتعد عنك شيئاً فشيئاً ، افتحي عينيك ، وافتحي كتابك ، واقرئي السطور.

فاذا كنت ازعجتك فرجائي ان تغذي ازعاجي.

الخرطوم — **يوسف الشاروني**

الحياة الادبية في اللاذقية خلال الجيل الماضي

بقلم محمد مجذوب

☆☆☆

حياة الادب كحياة الانسان. لها أطوارها ومراحلها، ولها آثارها ومؤثراتها. وكما ان دراسة النفس الانسانية تتطلب الدقة في رصد العوامل الفاعلة بها كذلك يجد الباحث الادبي نفسه مضطراً لرصد هذه التطورات المتشابهة في حياة الادب.

والانسان يمر بأطواره الطبيعية من التكون الجنيني الى الطفولة فالشباب فالكهولة فتطبع كل مرحلة اثرها في الذي يليها من هذه الاطوار، وهكذا الحكم في الادب فانه يبدأ حياته تفاعلاً في اعماق النفس ثم يخرج الى مرحلة المحاولات فاذا هو ترنيمة على الشفاه، او عبارة في الافواه، ثم يستوي على سوقه فيأخذ طريقه مع الحياة.

والادب العربي — في مختلف مظاهره ومصادره — يؤلف وحدة تامة من حيث اتصاله بعوامل الحياة العامة في ديار العرب ومدى تعبيره عن هذه العوامل، ولكنه في الوقت نفسه يصور مرحلة انتقالية بين الامس واليوم، وبين اليوم والغد، وجدير بنا حين نريد الاستمتاع بهذا الادب ان نتتبع مراحل نشأته لنبين مدى حيويته ونربط بين عوامل نهضته بدراسة ادبية محكمة.

هذه مقدمة لا مندوحة عنها للحديث عن الحياة الادبية في محافظة اللاذقية خلال الجيل الماضي، ولكن لا بد من القول بأنني لا ارمي من ورائها الى الزعم انني أورّخ بحديثي لهذه الحقبة، وانما هي إلمامة سريعة ببعض نواحي هذه الحياة لعلها ان تكون نواة مغرية لبحث شامل مفصل.

بين جيلين

في محافظة اللاذقية اليوم حركة ادبية تتماشى الى حد ما مع نهضتها المدرسية الكبرى وتسبقها من بعض الوجوه الاخرى، فهناك شعر يحتل منزلته الرفيعة في ذروة الشعر العربي الحديث، وهناك نثر يحمل في ثناياه طابع الذوق والفكر ويدلل على مواهب في هذه المحافظة قد يكون لها شأنها لو لقيت ما يعوزها من التشجيع.

ولطبيعة هذه البقعة من الربوع الشامية اثرها الفعال في تغذية هذه المواهب الى جانب الاثر التعليمي الذي تنشره الحركة المدرسية وحسبك ان تعلم انك واجد في كل قرية من قرى هذا الجبل المطل على مدن المحافظة نزوعاً الى الشعر واهتماماً به تكاد لا تعثر بمثالها في اية بقعة من البلاد.

ولكن بديهي ان الطبيعة وحدها مهما بلغ اثرها من الايحاء تظل عاجزة عن بعث النهضات الادبية اذا فقدت العناصر الثقافية التي تتوفر اليوم لهذه المحافظة، واعني بالعناصر الثقافية انتشار التعليم وتكاثر المنشورات والمؤلفات التي تصل بين العقول وتمدها بالروافد المنتجة من عوامل التلقيح.

وطبيعي ان هذه العناصر لم تكن قد توافرت بعد للجيل الماضي، ولم تكن قد اطلت على الجيل الذي قبله من هذه المحافظة اللهم الا اذا استثنينا اشعاعات ضئيلة لا بد من تغلغلها هنا وهناك من آثار حملها للناس بعض الشيوخ فلم يتجاوز مفعولها حدود بيئاتهم المحلية.

لم يكن في هذه المحافظة ساحلاً وجبلاً في القرن الماضي اي مظهر مدرسي بمعناه المألوف اليوم، وانما هي كتاتيب تقوم في بعض المدن وفي قليل من القرى لتعليم مبادىء القراءة والكتابة، فكانت

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق.

الامية هي الغالبة على السكان في كل مكان : أمية في الفكر، وامية في العادات ، وامية في كل شي.. . يضاف الى هذا وذاك سوء الوضع السياسي وما جره من تفكك وخصومة بين الجبل والساحل انعدم معها الاستقرار والامن في كثير من الاحيان ، ثم تلك المحنة الهائلة التي تمثلت في محاربة الحاكمين للغة العربية ايام كانت التركية هي اللغة الرسمية في دوائر الدولة ، فكان من طبيعة الواقع ان تتقلص العربية فتنحصر في الكتب القديمة وفي تعلم القرآن وتقتصر العناية بها على طلبة العلوم الشرعية وحدهم.

وبيئة كهذه ليس من شأنها ان تشجع على التجدد والافتنان في الادب ، ومهما تبلغ مواهب الرجل في مثل هـذا الوسط فهي عاجزة عن التخلص من اثر الركود والانطباع بألوان المحيط، وهكذا كان الأمر في ذلك الجيل. . فقد عرفت اللاذقية أيامئذ عدداً من علماء الدين في بيوتات لا تزال معروفة بتوارث الروح العلمي حتى اليوم ، ولكنهم لم يستطيعوا التفلت من قيود الجمود الا بمقدار ما اتاح لهم روح الزمن ، واذا كان هذا شأن اللاذقية فما بالك بالجبل والمدن الصغيرة الاخرى !

ولا بأس ان انقل لكم هاتين الطرفتين ففيهما ما يكفينا مؤونة الكثير من الاستدلال على هذا الواقع :

حدثني المرحوم الشيخ (سليمان احمد) انه مر ذات يوم بجماعة من شيوخه في الجبل يتحدثون في هذا البيت من شعر «ابان اللاحقي» :

« كليني للمهمات   وانواع الرزيات »

وقد اجمعوا على ان « كليني » هذه من الكلال ، وان الشاعر يشكو الى صاحبته ضعف الشيخوخة عن احتمال الشدائد، فاضطر، وكان في الرابعة عشرة من عمره ، لان يصلح لهم غلطهم مستشهداً بقول الشاعر : « . . وكل الظلوم الى حسبه »

وهذا يعني ان شيوخ المرحوم الشيخ سليمان احمد قبل ستين عاماً لم يكونوا قادرين على التفريق بين فعل (كلّ) وفعل (وكل) !

وحدثني من أثق به ان عالم طرطوس في الجيل الماضي « الشيخ عبد الوهاب السيد » ، رحمه الله ، كان يكلف بعض الناس ان يتلو عليه شيئاً من شعر البارودي فيطرب له ويثني عليه ، وقد اتفق ذات مرة ان قال : « ان في هذا الشعر شيئاً من نغمة ابن الفارض» وكان هناك احد السامعين فلما كان المجلس التالي اراد هذا ان يقلد الشيخ في الاعجاب بما يسمع فقال : يا شيخنا . . والله لكأنه كلام الفاروطي . . » وطبيعي ان الشيخ قد جن من هذا الذي لا يفرق بين الفارض والفاروطي !.

زد على هذا كله ان (الجريدة) كانت حتى ذلك اليوم شيئاً غريباً عن معظم سكان هذه المحافظة وقد ادركتُ الناس في طرطوس يتكبكبون على من تقع في يده نسخة من (القرزيتة) — وهكذا كانوا يسمونها — ليستمعوا الى ما فيها من اخبار عجيبة قد لا يسمع بمثلها الجيل المخلد الى عزلته يومذاك . . هذا بينما كانت اللاذقية قد بدأت تعرف كثيراً من الصحف الوافدة من الخارج ثم لا تلبث ان تعرفت المطبعة واصدرت بعض الصحف المحلية منذ اكثر من ثلاثين سنة .

وبعد هذه المقارنة السريعة نستطيع ان نضع ايدينا على اهم المشخصات الذاتية لادب الجيل الذي نتحدث عنه ، وبوسعنا كذلك ان ندرك مدى اثرها في التمهيد لما تلاه من الظواهر الادبية فيما بعد.

من التقليد الى الانطلاق

ان المطلع على الآثار الادبية المكتوبة في محافظة اللاذقية خلال عصر النهضة يستطيع تأريخ منشإ الحياة الادبية عملياً بأوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم هو يستطيع بمتابعة تطور هذه الآثار من عهد الى عهد ان يرصد مظاهر هذا التطور سواء من ناحية الاساليب او الافكار .

اما الاسلوب فقد تبين لي انه يبدأ حياته متأثراً الى حد بعيد بالتعابير العامية ثم يمضي متجهاً الى اللغة الفصحى الخالصة، وقد رأيت ادلة على ذلك حتى في اوزان الشعر نفسها ، فهناك مثلاً قصيدة بقلم المرحوم الشيخ « عبد الفتاح المحمودي» نظمها قبل ثمانين عاماً في تهنئة صديق له من آل صوفان يقول فيها :

قد انتج هذا الزفاف شكل جماه   والبشر عليه اقام أوضح برهان
والفخر غدا في هذا الزفاف موافي   حقاً ومصافي الرضا محمد صوفان

وهي قصيدة لم استطع ان احققها وزناً في البحور الستة عشر، ثم هي اقرب الى العامية وزناً واسلوباً.

ومما يدلنا على اثر التطور في اذهان هؤلاء الشيوخ —رحمهم الله— ما رواه لي بعض احفاد المرحوم المحمودي من انه ظل حتى آخر حياته آسفاً لنشر ديوانه المسمى « سفير الفؤاد » مع ان في صفحاته منظومات تعتبر من احسن النماذج لشعر عصره في محيط اللاذقية وفيه ابيات سارت مسير الحكمة على ألسنة الناس منذ ايامه وذلك كقوله :

إياك اياك اخوان الزمان فهم   خوّان عهد فلا تركن لخوان

وقوله :

لو قيل لي : ماذا يسوءك في الورى   لاجبتهم : تفهيم من لا يفهم

وبالطبع لم يكن اسف الناظم على نشر مجموعته الا ظاهرة من التطور العقلي والادبي الذي صار اليه فيما بعد.

واما الاغراض والافكار فهي تبدأ انطلاقها كذلك من نقطة التقليد الصرف لاغراض السابقين من شعراء عصور الانحطاط اي في المدح والتهاني والتاريخ، وبخاصة موضوع المدائح النبوية والاستغاثات عن طريق المعارضات او التشطير والتخميس لبعض الاشعار الشهيرة.. ولكن هذا الادب في مراحله التالية حيث تشتد قوته يميل الى الاكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والمقابلة والطباق تأثراً بشعراء عصر الانحطاط انفسهم ثم لا يلبث ان يصل الى مطلع القرن العشرين حتى نراه يبدأ مرحلة جديدة في الاغراض والاساليب معاً. فمن ناحية الاساوب ينزع الى التخفف من التكلف والتخلص من قيود البديع، ومن ناحية الاغراض يأخذ في طريق التعبير الشخصي فاذا بالشاعر يتحدث عن نفسه وعن مجتمعه ويرسل النكات ويساهم في النقد الاجتماعي فيدل بذلك على تأثره بالروح العامة التي سرت في شعر النهضة.. وهذا تطور طبيعي.. ذلك لان هؤلاء الشعراء بدأوا يتصلون بنتاج البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران والرصافي ومعاصريهم فيتذوقون ثمرات مواهبهم ويتحسسون من هذه الاتجاهات التحريرية الجديدة التي تمثلها اشعارهم وكذلك جعلوا يستفيدون من تكاثر المنشورات المختلفة من دواوين الفحول القدامى ومن الكتب الحديثة الاخرى ومن المجلات والصحف المتعددة.. هذه المنشورات التي اصبحت في متناول الجميع بعد ذلك الزمن الذي ندرت فيه الكتب والمقبلون عليها فانحصر اكثرها في مكتبات خاصة موقوفة على اصحابها لا يفيد منها في الغالب سوى مالكيها وطلبتهم الخصوصيين.

وهكذا تابع التطور طريقه في اعداد الاذهان وارهاف الحس الفني، فاذا بهذا التطور يقدم للناس عدداً من الشعراء الذين نعتبرهم الحلقة القريبة من سلسلة الحياة الادبية في هذه المحافظة منهم من توفاه الله ومنهم من لا يزال بين ظهرانينا. ونذكر من هؤلاء. واولئك على سبيل التمثيل لا الاحاطة المرحومين المشايخ حسن المحمودي، وسليمان أحمد، ومحمد سعيد، وعبد الوهاب السيد، وعبد العزيز وراغب أديب، والاستاذين منح هارون وادوار مرقص.. ثم الاحياء الاساتذة: سلامه الصوفي، وسعيد مطرجي، وعبد اللطيف سعود، ومن الاعتراف بالجميل ان نذكر لهؤلاء. واولئك واخوانهم فضلهم على جيلنا الحاضر الذي ساهموا بتنصيبهم في اعداد العناصر الموجهة له.

اراني مضطراً للاشارة الى انني عمدت للكلام على الشعر دون النثر من ألوان الحياة الادبية وذلك لان مبادىء النهضات الادبية عادة ترتكز على مادة الشعر بوجه خاص. هذه المادة التي هي اقرب الوان الادب الى الحياة الاولية، وانما يأتي دور النثر الفني في مرحلة التركز حين تستقر الخطى في طريق المدنية، هذا مع العلم بان هناك بعض المكتوبات والمؤلفات من آثار الجيل الماضي ولكنها لا تصور الحياة الادبية بمقدار ما تتمثل في هذا الشعر الذي سأعمد الى عرض بعض نماذجه.

***

عرضاً

في ما تقدم من حديثنا لقسمين من ادباء المحافظة، وقد حددنا زمن الاول في خلال النصف الثاني من القرن الغابر وحصرنا عهد الجيل الثاني في ما بعد ذلك. وقد بات علينا ان نتحدث عن اوساط كلا القسمين ومجالسها الادبية سواء في الجبل او الساحل.

اما الجبل فبالرغم من ان الحياة فيه عادة بطيئة التغير فقد خضع بدوره لسلطان التطور الذي احدثته حركة المواصلات بين انحاء البلاد، ثم حركة التعليم الابتدائي الذي يوشك ان يعم سائر اجزائه، وأبرز مظاهر هذا التطور يبدو في اوضاع شيوخه وطلبتهم من بغاة العلم، فقد كان الشيخ من هؤلاء يقضي بعض ايامه في التنقل بين القرى يتصل بأمثاله وبالراغبين في الاطلاع، وربما جعل الشيخ من بيته اشبه بمدرسة يؤمها الطلبة من مختلف انحاء الجبل، وقد يكلفه ذلك ان ينفق على هؤلاء بدلا من ان يستفيد منهم في الغالب. وطبيعي ان هؤلاء يحملون من شيوخهم فيما يحملون من مبادىء العلم، اقوالهم وأشعارهم وبعض محفوظاتهم يتناشدونها ويحاولون النسج على منوالها. وهذا كله قد اعتورته يد التغير في هذه الايام اذ تقوم المدرسة الابتدائية بكثير من مهام الشيوخ وينصرف العدد الكبير من التلاميذ الى المدينة ليتموا تحصيلهم في الثانوية او الجامعة. حيث يجربون مواهبهم في المشاركة بالحياة الادبية على اختلافها.

وليست المدينة بالبعيدة عن ذلك الجو وهذا التطور بعداً كبيراً ذلك ان مجالس العلم في اللاذقية مثلاً كانت، كما اسلفنا، خاصة محدودة، فهي تتمثل في زوايا الشيوخ حيث تقام العبادات وتلقى الدروس على العامة وبعض الخاصة. وكان لبعض العائلات الدينية هناك زواياها وشيوخها، ولها مكتباتها، وكان الشيخ يصرف بعض وقته في تدريس العوام والى جانبهم تلاميذ مداومون يلقي

عليهـم دروساً في العلوم الاسلامية كالفقه والتوحيد والقواعد والبلاغة . وكثيراً ما ينظم لهم بعض هذه العلوم في قوالب من الرجز او الازدواج فيتأثرون بذلك وتتمرن السنتهم على النظم والفصاحة ويتلقفون كذلك منظومات شيوخهم من الاشعار التي يؤلفونها لبعض المناسبات او المعارضات فيتناقلونهـا ويروونها في مجالسهم الاخرى .

وكان « المنزول » — وهو القناق بلغة الداخل — يقوم بدوره في اداء هذه المهمة . والمنازيل كثيرة في العهـد الماضي لا يكاد يخلو من بعضها حي من احياء المدينة ، يساعد على وفرتها فقدان وسائل اللهو من المقاهي والاندية التي جعلت اليوم تجتذب اليهـا الناس فتؤدي الى الاقلال من هذه المنـازيل وتهاجمها هجوماً لا هوادة فيه .

ففي هذه المجتمعات الليلية كنت تسمع الى هذا الشيخ يعرض افكاره ، والى ذلك الظريف يعرض اسماره ، فيعمل هذا وذلك عملهما في ترويح النفوس وتغذية العقول واذا بتلك الآثار من اقوال الشيوخ ومنظوماتهم تجد سبيلها الى الناس من خلال هذه المجالس المختلفة .

ولما اقبلت عناصر الحياة الجديدة تفد الى البلد مع الصحف والمنشورات الى جانب ازدياد المتعلمين كانت السبيل ممهدة لورثة هؤلاء الشيوخ من اهل العلم فأخذوا يحتكون بهذه الجواء الجديدة من قريب او بعيد ، واذا هنـالك بعض الصحف « كاللاذقية » و« الزمر » وغيرهما تدخل المعركة بين سنة ٩٠٩ وسنة ٩٢٢ ويقوم على رأسها بعض الشباب ذوي المواهب كالمرحوم الشيخ محمد سعيد وغيره ، فتحمل على صفحاتها نتاج هذه القرائح التي تمثل كما قلنـا الطور الثاني من الحياة الادبية . وتتوافر المناسبات التي تحفز على التنافس ويعمل التطور الاجتماعي عمله فـاذا هنالك المندفعون في المجون ينظمون به الشعر لا يجدون حرجاً من تلاوته حتى في الحفلات واذا هنالك المترددون يتشبثون بالقديم ويستهويهم الجديد فيعبرون عن انفعالاتهم النفسية وانطباعاتهم العقلية ، واذا هناك المحافظون ينكرون بمنظوماتهم على هؤلاء واولئك . ويتجاوز بعضهم حدود وسطه فينتقل الى مصر ويعمل في بعض صحفها ثم يعود الى اللاذقية لينشر معلوماته اللغوية والتاريخية في اوساط الشبـاب ، وبعضهم يتصل بالصحف الاخرى ورجالات العلم في لبنان والعراق ، كالمرحومين الشيخ سليمان الاحمد والشيخ منح هارون وادوار مرقص فيساهمون في نهضة الفكر والادب في دنيا العرب .

نمـاذج

ولا بد لنا من عرض طائفة من اشعار هؤلاء الذين نتحدث عنهم كامثلة لما نحن بصدده تعطينا صورة موجزة عن ذلك التطور الذي الممنا به في كلامنا عن كلا الجيلين ، فلنستمع الى هذه الابيات من قصيدة تقع في ٢٢ بيتاً وهي من مخطوطة للمرحوم الشيخ عبد الحميد المحمودي المتوفي سنة ١٣١٤ ، وفيها نرى شواهد من ولع بيئته بأنواع المحسنات البديعية ، وقد سميت القصيـدة « المثلثية الجدية » اشارة الى كلمة (الجد) التي تتألف منها القافية وقد اوردها الناظم مثلثة الجيم متعددة المعاني :

ألا يا مهاة الحسن بعد النوى جدي   بقربي فان البعد أضعف لي جُدي (سمني)
ولا تقطعي حبل المودة والهوى   فمسكينك العاني يخاف من الجَد (القطع)
بروحي وقلبي افتديك ومهجتي   ولبي وما خولت من واسع الجِد (الرزق)
فيا ويح قلبي منك يـا غاية المنى   ويا لهفتي يا حر وجدي على جَدي (حظي)

ومن غزل آخر له وهو ارق اسلوباً وفيه صورة حلوة من مظاهر الترف في عهده ، ومحسناته البديعية اقل تكلفاً :

ظبي أنس سطا عليّ وصالا   بلحاظ فقطع الاوصـالا
ما احيلاه من غزال اذا ما   فوق ذاك القوام أسدل شالا
يا حبيبي رفقاً بأحوال صب   شوقه الوافر المديد استطالا

وان تفوتك التورية في قصده من (الوافر، المديد، الطويل) البحور الشعرية المعروفة . ثم ننتقل الى اديب آخر يمثل لنا شعره لوناً من الاستقرار الذي انتهى اليه التطور الادبي في عهده سواء في الاغراض او الاساليب ، ذلك الاديب هو الشيخ سليمان احمد المتوفي سنة ٩٤٢ . وها أنذا اتلو من شعره هذه الابيـات التي تمثل صرخة جديدة بالنسبة الى سكان الجبل :

حنانيك حزب الله بوركت من حزب   فقد آن يلقي السمع من كان ذا قلبِ
أفكر بالحـال التي انتم بهـا   فأزداد ما فكرت كرباً على كرب
اينعم بـالي والبـلاء بأمـتي !   اذن لا صفا عيشي ولا راقني شربي
هلموا الى ما يقصر الطرف دونه   من الشرف السامي على هامة الشهب
الى الغاية القصوى التي اصبح الورى   يسير اليها الركب في أثر الركب
سرى العلم مسرى البرق يا شيعة الهدى   فطبق من شرق البلاد الى الغرب
أعوذ بكم ان يرجع الجد عنكم   سدى ونصيبي من نصائحكم نُصبي

ثم هذه الابيات الاخرى وفيها صورة من العقلية المتوثبة الثائرة على جمود القديم وخرافاته في ذلك الجيل ايضاً . انه يتهكم مرة ببعض الشيوخ من كتبة الاحراز والتمائم فيقول :

أبالاحراز تحفظني ؟ ! . . رويداً   فان الله خير منـك حفظـا
طلاسم مـا عرفت لهن معنى   فكيف وما قرأت لهن لفظا !

ويتلفت اخرى فيلوم هؤلاء المخدوعين بأولئك المشعوذين :

أكلما جـاء دجال بمخرقة   صدقتموه ولا تصديق إلهام ؟!

جن وسحر وتدجيل وشعوذة | وتابع لأيامى او لأيتام !
أضحت حقائق علم الدين عندكم | مضاعة بين تخييل وايهام

ويمتاز هذا الاديب عن سائر معاصريه بانه يستمد عناصر ثقافته الكبرى من لزوميات المعري ، وقد ترك على آثار ضرير المعرة تعليقات وفيرة وهامة من شأنها ان تلقي عليها ضوءاً جديداً لو خرجت الى حيز النشر .

وهناك مقطوعات كثيرة من شعره هي اقرب ما تكون نسباً الى هذه اللزوميات سواء في طريقة النقد او الاسلوب وحتى في لزوم ما لا يلزم ، ولو هو قيد نفسه كالمعري بالتزام ما لا يلزم فيها جميعاً لكان من العسير تفريق آثاره عن آثار استاذه .

ومن اجل استكمال الصورة المنشودة من هذا العرض نلتفت الى نوع آخر من الادب فيه طرافة وفكاهة ، ونقدم من اصحابه اللاذقيين الشيخ سعيد مطرجي ، هذه الشخصية التي لا حاجة الى الحديث عن ظرفها وخفة ظلها ففي وسعنا ان نتذوق كل ذلك في هذه المقطوعات التي اخترناها من شعره .

لنسمع اليه يعزي نفسه لاخفاقها في المحاماة وقد رغب في مزاولتها طلباً للعيش فأبت ان ترغب في صحبته :

اردت بأن اكون أبا لكانو | وكانو ما ارادتني أباها
لذاك تركتها هرباً بديني | ورحت أروم لي بنتاً سواها

ولنستمع اليه كذلك يلوم الشباب في تهافته على اللهو وتقاعسه عن المجد ، فيذكر اسم « قوزين » وهو خمار قديم في اللاذقية واسم « روزا » وهي احدى الراقصات التي جاءت المدينة في تيار الاحتلال :

أضحت جيوبكم يا قوم مجدبةً | لما غدا روضها مرعى لقوزينا
اغركم قول « روزا » وهي راقصة | « زيدي دلالك زيدي اليوم دلعونا »

***

ربوا لنا هر علم في مدارسكم | لعلنا لا نرى للجهل « جردونا »
ماذا يضركم يوماً بني وطني | لو اخترعتم بهذا العصر (ماكينا)
هذي اوربة بالبالون قد عرفت | ما في السماء ، ولم نعرف أراضينا
لسنا نقلدهم علماً ومعرفة | لكن نقلدهم « بوطاً وبنطونا »

وللاستاذ المطرجي معارضات تحمل طابع هذا الظرف الممزوج بالتفكير والنزوع الى الاصلاح منها واحدة لقصيدة الحلي « سل الرماح العوالي . » وفيها يقول :

إنا لشعب أبت اقوالنا عملاً | نقول ما ليس يجدينا ويجدينا
وعر مسالكنا خلف مقاصدنا | خلط جرائدنا ، وهم دعاوينا

واخيراً نختم حديثنا بكلمة عما يتصل بالحياة الادبية في طرطوس ، ولا مندوحة قبل ذلك من التنبيه الى وضع هذه المدينة في العهد الذي نتحدث عنه ، ذلك ان طرطوس ، التي تعد اليوم وسطاً ثقافياً ، اذ يبلغ عدد الطلاب في مدارسها الابتدائية والثانوية ما يوازي خمس السكان ، لم تكن حتى مبدأ الاحتلال سوى قرية ساحلية تشكل ناحية من قضاء طرابلس ، فليس فيها من وسائل العلم سوى بعض الكتاتيب الصغيرة الى جانب مدرسة اولية لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولم يكن هنالك من يحسن شيئاً من قواعد العربية سوى واحد او اثنين من شيوخ الدين وبعض الغرباء من الموظفين . ولكن طرطوس عرفت في اواخر القرن التاسع عشر عالماً ازهرياً من ابنائها هو المرحوم الشيخ عبد الوهاب السيد الذي ولي القضاء في عدة مدن ثم استقر مدرساً في طرطوس حتى توفي سنة ١٩٢٦ . ولقد كان لهذا الشيخ يد في تنوير الاذهان وحفز بعض الشباب على تذوق الادب بما كانوا يسمعونه من منظوماته ودروسه فجعلوا يحاولون النظم ولكنه نظم يعوزه صحة اللغة وان توفرت له السليقة والاذن الموسيقية .

وقد ترك الشيخ عدداً من القصائد نظمها في بعض المناسبات منها مدائح نبوية وشخصية ومنها في الرثاء وفي المبادىء الفقهية ، وقد اخترت من شعره هذه الابيات من قصيدة طويلة نظمها قبل نصف قرن يمدح بها متصرف طرابلس « حسني سيفي » عند قدومه طرطوس مع قوة من الدرك لقمع حركة عصيان في بعض القرى :

علاكم لا يماثله علاء | فكيف ودون قدركم السماء
وسامي مجدكم فوق الثريا | رفيع ما لرفعته انتهاء

الى ان يقول :

سلكت طريقة الفاروق فينا | بعدلك فازدهى هذا « اللواء »
أتحت لنا السلامة بعد أن قد | دهتنا بالخطوب الاشقياء
وامنت السبيل لقاصديه | فامست بالحلى تسري النساء

ومن احسن ما عثرت عليه من شعره هذان البيتان اللذان كتبهما عند زيارته ضريح أبي ايوب الانصاري في الاستانة ، وكان قد رحل اليها كغيره من طلبة الوظائف .

لي يا ابن زيد في حماك حاجة | أرجو بجاهكم الاله قضاها
حاشا أرد وقد وقفت ببابكم | وببابكم حطت ركائب (طاها)

وهنا اقف لاقدم عذري في هذا الاجتزاء الذي اضطرني اليه ضيق المقام ، فأنا اعلم كما تعلمون ان هناك في اللاذقية وفي جبلة وفي الجبل ادباء كان من حقهم الا تهمل آثارهم ولا يغفل ذكرهم ، وعسى ان تتاح لي او لسواي فرصة اخرى تسعف باستدراك ما فاتني من ذلك .

طرطوس - سوريا

محمد مجذوب

رباعيات جديدة

●

لما رأيتُ فعال النـاس مثقلةً بالخبث،حولي، وداء الكذب منتشرا
وقيت نفسيَ من عدوى تغافلها بالبعد عن كل نفس عزها اندثرا
قد تفسد البيئة الرعناء ادمغة بها تغنّى لسـان الدهر مفتخرا
اذا حكمت على الحر الكريم بأن يعيش بين لئـام ، عاش منتحرا

***

ان تدعُ للونى سبيـلًا الى قلـ ـبك يتلف بسمّه مـا يريـدُ
جهدك اليوم ليس يجدي ، ولكن اترى ذكره غـداً لا يفيد ؟
فضلُ من يمهد الطريق يبـاهي فضـل من تنحني لديه البنود
كم بعيـد عن المخـاطر يقضي عمره ، وهـو كل يوم شهيـد

***

لا تنصحوني فنهجي غير نهجكمُ الى الزكاة ، واني غـير مغبونِ
أواجبي كلما حـاولت مكرمة ان لا اقدمهـا الا بقانون ؟
ومن يصبّر محتاجاً لاطلب عن شقـاء حـالته كل البراهين
من مد راحتـه فهو الفقير ولو حوت صناديقه اموال قـارون

***

لا تلمه اذا اضـاع مساعيك لديـه وكنت ترجو جزاهـا
رمت اصلاحه وعينك لا تلحظ تيـار نفسه وهواها
كل داء له علاج ، وما ينفع في علّةٍ يضر سواهـا
كم نفـوس اذا بخلت عليهـا بالاهانات لا تنـال رضاهـا

عاصمة الارجنتين

الياس قنصل

من الرابطة الادبية الارجنتينية

الحارس

للكاتب الروسي ن. لييسكوف

بقلم عيسى سليم المصو

☆☆☆

ان حوادث هذه القصة مؤثرة ، ومرعبة ، ونتيجتها فريدة في نوعها، ولا يلعب الخيال فيها اي دور على الاطلاق .

ففي شتاء سنة تسع وثلاثين وثمانمائة والف ، كان الجليد ينساح عن بطرسبرج ، وكان الهواء دافئاً يشبه هواء الربيع ، فذاب الجليد ، وانساب الماء من على السطوح ، واكتسب الجليد على الانهر لون الزرقة ، وكانت هناك قبالة القصر الابيض فسحة متسعة ، هبت فوقها نسمات دافئة عبر الخليج .

وكان على رأس حرس القصر ضابط حديث السن ، اوتي من العلم حظاً موفوراً ، هذا الى نباهة وطبع سلس ، يتميز من اترابه بقلب كبير ، وشعور مرهف ، وامانة لا يتطرق اليها الشك .

وكانت مهمة الحرس هينة ، سهلة ، خالية من اي خطر ، نتيجة اطمئنان الحال وثباتها ، وما كان على الحرس سوى ان يقفوا في مراكزهم لا يغادرونها ، ولكن ، على كل حال ، عندما كان هذا الضابط اللامع موكلاً بالحراسة ، حدث حادث على جانب من الخطورة ، ولكنه الآن محتجب في اطواء النسيان .

كان الليل ساجياً ، وقد شمل الهدوء ارجاء غرفة الحراسة ، وجلس الضابط يطوي الوقت في القراءة، وقد يكون انه استغرق فيها استغراقاً لم يشعر معه بمرور الوقت، واذا بمساعده المنوط به العمل، يقتحم عليه حمته، شاحب الوجه، مرتجف الاوصال، وكانت الساعة قد شارفت على الثالثة صباحاً، وأخبره بالحادثة التي جرت منذ لحظات. وملخص الحادثة ان احد الحراس ممن نيطت به حراسة باب القصر الخارجي ، سمع اصوات استغاثة تنبعث من رجل قد اوشك على الغرق ، وينحدر الحارس من سلالة ريفية ، على انه ذو قلب عامر بالشفقة، وكان قد اصاخ هنيهة الى الصراخ الذي بعث الخوف في نفسه وأثار اعصابه ، وتلفت حواليه ، ولكنه لم يشاهد احداً لكي يستنجد به ليغيث من هو على شفا الغرق ، فكان في حكم المؤكد اذن ان الرجل هالك لا محالة — وفي اثناء ذلك كان الرجل يعارك الموج في سبيل حياته عراكاً طويلاً رهيباً وانقطع صوت الرجل لحظة ثم عاد يرتفع ناشداً الغوث : وبدا للحارس ان من الميسور عليه ان ينقذ حياة الرجل ، كان يرمي اليه حبلاً اوعموداً خشبياً ، ولكن الحارس تذكر انه في وظيفته ، وتذكر قسمه ، وان عليه ان لا يغادر مركزه مهما كان السبب .

واحتدمت في قلب الحارس الاحاسيس ، وتحرج مركزه ، وشعر بفؤاده يهبط ، فكان بين أمرين ، اما ان يدع الرجل يغرق وفي وسعه انقاذه — وبان له ذلك خيانة سافرة للانسانية — ، واما ان يغادر مركزه ويتعرض هو نفسه للخطر . وفي مدة نصف ساعة عصفت في جوانحه الوساوس ، وخشي العاقبة ، على انه لم يخل من ذكاء ، ومن ضمير حي ، ثم انه علم تمام العلم بان من يترك مركزه يحاكم محاكمة عسكرية قد تنتهي باطلاق النار عليه . ولكن صراخ الرجل وحشرجاته ما عتمت ان تعالت، ونظر الحارس حواليه ، فلم يشاهد احداً ، وحملت الريح اليه ما قد يكون آخر

قصة

صرخة، فلم يعد يستطيع الاحتمال اكثر ففادر مركزه، وانقذ الرجل الذي هوى على الارض منهوك القوى، مرتجف الاوصال، فقاده الحارس، متلفتاً لعله يجد من يثق به ليأخذ على عاتقه واجب المساعدة، وعلى الاثر شاهد مستخدماً في الخدمة الطبية كان قد وصل الى محل الحادث في وقت غير مناسب للحارس. وسرعان ما سأل المستخدم الحارس من يكون الرجل، فأجاب الحارس بايجاز، وقفل راجعاً الى مركز الحراسة، ولكن المستخدم كان ممن لا يتحرج من شرف او ضمير. والراجح في الظن انه فهم ما جرى فانه اخذ الرجل في عربته الى الشرطة حيث سجل المفتش المختص ما حدث وان المستخدم منقذه، وتعذر على الرجل المنقذ معرفة منقذه لفقدانه شعوره، وطمع المستخدم في الحصول على وسام انقاذ الحياة.

وفي اثناء كل هذا شاع خبر مغادرة الجندي لمركزه في ارجاء القصر، واحضر الجندي الى ضابطه وقص عليه كل ما جرى. ولم يكن هناك متسع من الوقت، فأخبر الضابط قائد فرقة الحرس عن الحادث.

ولم تكن لدى قائد الفرقة رقة شعور الضابط، على انه لم يتجرد من احساس انساني، ولو انه عرف بقسوته، وبشدته بالمحافظة على النظام. ولم يعرف عنه يوماً ميل الى الشر، ولم يحاول مرة ان يوقع باحد عقاباً لا جدوى منه، ولكنه كان عنيفاً لا يعرف رحمة، اذا ما اهمل احد الجنود واجبه. ففي هذه الحالة ابى ان يقدر الاحوال التي احاطت بالمتهم، وتمسك بالقاعدة القائلة ان اي انحراف عن جادة النظام يعد جرماً، ولهذا عم فرقة الحرس شعور بأن المتهم سيعاقب اشد العقاب. وكان يعهد عن هذا القائد انه من العبث استدرار عطفه، ثم انه مهتم كل الاهتمام بالتدقيق في أمر النظام، اضف الى هذا انه كان يخشى ان يسفر هذا الحادث عن نقطة ضعف في النظام السائد في فرقته، كما انه خشي المسؤولية التي قد يلقيها عليه الامبراطور.

فعند الساعة الثالثة صباحاً تلقى القائد رسالة الضابط المنبئة بعمل الحارس، فقفز من سريره مرتدياً ملابسه في الحال، تلابسه عاطفتا الغضب والخوف، وسرعان ما وصل الى غرفة الحرس في القصر، وعلى الفور استجوب الحارس الذي سرد عليه ما حصل، معترفاً بجرمه امام الله والامبراطور، غير متوقع الرحمة، وكيف انه عندما سمع صراخ الاستغاثة تنازع في قلبه أمران، اما انقاذ الرجل مضحياً بواجبه العسكري، او الحرص على الواجب وعدم انقاذ الرجل المعذب المشرف على الغرق، وكيف ان عاطفة الشفقة رجحت كفتها، وكيف انه انقذ الرجل وسلمه الى مستخدم الاسعاف.

على ان القائد لم تقنعه الدوافع التي ادت بالحارس الى ما فعل، فصب عليه جام نقمته، وامر بالقائه في غياهب السجن، منتقداً الضابط على «انسانيته». ولكنه احس ان كل ذلك لن يجديه فتيلاً، وبقيت عنده طريقة واحدة للخلاص من المأزق الا وهي اخفاء الحادث عن الامبراطور اذا استطاع.

ولكن هل من المستطاع اخفاء الحادث؟

فمن الظاهر ان امر الاخفاء متعذر، لان الخبر كان قد عم وشاع ليس بين اوساط الفرقة فحسب، بل لا بد وان مستخدم الاسعاف قد نقله الى الجنرال كوكوشكين.

فمن اين لقائدنا ان يجد له مخرجاً، والى من يلجأ؟

وخطرت له خاطرة، ان يحث الخطى تواً الى ولي العهد، وان يقص عليه بصراحة تامة كل ما جرى، فقد كانت مثل هذه المقابلات معهودة آنذاك. وقد يثور الامير، وقد يصب نقمته على المتهم ولكنه ما يفتأ ان يهدأ فيصفح، وان تتغلب عليه طيبة قلبه، فيأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن المتهم — ولكن المعضلة هي كيف يحصل على اذن في الدخول على ولي العهد في تلك الساعة المتأخرة، وان انتظر حتى يتنفس الصبح، فسيسبقه كوكوشكين الى تقديم تقريره للامبراطور، ويكون قد سبق السيف العذل.

وبينما كانت هذه الخواطر تجمح بخيال قائدنا فتح الله عليه ان يذهب الى كوكوشكين مدير الشرطة العام بعينه بالرغم مما كان يشاع عنه، فهو يوحي بالخوف والوجل لكل من انحرفت به الطريق اليه، ولكنه الى ذلك لا يخلو من حنو وعطف الى جانب عقل كبير ودهاء عظيم، فلعل عنده دواء لهذه العلة المستعصية. وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة صباحاً عندما اختلف القائد الى بيت مدير الشرطة الذي نهض من فراشه متثاقلاً عندما علم ان مسألة خطيرة طرأت، واصغى بهدوء الى القصة، على ان هذا الهدوء كان مبعثه تعبه اثر يوم مليء بالعمل المرهق، وثانياً ان عمل الحارس خارج عن دائرة اختصاصه كمدير للشرطة، وعلى كل فان كوكوشكين اصدر امره باحضار مستخدم الاسعاف والرجل المنقذ، وعندما حضرا طلب مدير الشرطة التقرير الرسمي فقرأه، وما ان فرغ منه حتى شرع في استجواب المنقذ، واذا به يطلق سراحه، ويأخذ في استجواب مستخدم الاسعاف مؤيداً ادعاءه بانه هو المنقذ. ثم تحول الى القائد سائلاً اياه هل اخبر ولي العهد، وكم كانت دهشة

القائد عندما اجاب بالنفي ، اذ قال له مدير الشرطة قد انتهى الامر ، طاب مساؤك .

وعند الساعة الواحدة استدعي مستخدم الاسعـاف ، فخبره كوكوشكين ودلائل الاغتباط بادية عليه ، ان الامبراطور سر لدى سماعه ان من بين مستخدمي الاسعاف في القصر رجلاً ضحى بحياته في سبيل انقاذ انسان من الموت، ولذا فهو مقلده وسام انقاذ الحياة، فمضى المستخدم جذلان والوسام يلمع في صدره .

والحادثة كانت تعتبر في حكم المنتهية لو ان القائد اقتنع ، ولكنه على العكس من ذلك ارتأى ان يتوصل الى معرفة كنه الغموض الذي شمل القصة. ولعل فزعه هذا هو الذي سبب وعكته التي الزمته الفراش ثلاثة ايام حضر بعدها يحتق فاستدعى الضابط وقال له : الحمد لله اذ انقشعت هذه السحابة التي كانت جاثمة علينا مما اتاح لنا ان نتنفس الصعداء ، ونحن مدينون بكل هذا ولا مراء اولا الى عطف المولى علينا وثانياً الى حكمة كوكوشكين . ذر الناس يدعون انه قاس عنيد لا يعتلج في قلبه حس نبيل ولكني مدين له ولسعة حيلته وحذقه. فانظر باية مهارة استفاد من غرور مستخدم الاسعاف على الرغم مما يستوحيه كذبه وادعاؤه من ضرب على يده فقد اغتنم هذه الفرصة السانحة ، وانجى الكثيرين حين دار المسألة ببراعة لم يشعر ازاءها اي فرد بادنى غضاضة ولكن الحارس ما زال في سجنه يقاسي عذابه ، فدعنا نضع حداً لآلامه .

عند هذا تضاعف سرور الضابط ، واذا بالقائد يسترسل في حديثه قائلاً : انت افضل من يتمم هذا العمل ، فـاذهب من فضلك الى المعسكر واستدع فرقتك وسق الحارس من سجنـه وعاقبه بمئتي سوط امام الفرقة بتمامها .

اما الضابط فصعق والتاع فؤاده، وحاول ان يلين قلب رئيسه بان يصفح عن حارسه كي يعم الفرح جميع المعنيين بالامر، فكفاه ما ذاقه من قصاص في اثناء وجوده في سجنه منتظراً ما قد يسوق اليه القدر من قصاص .

واذا برئيسه يتسعر بالغضب، ويحتد ، ويتهور بالكلام فيقول له : لم اكد افرغ من حديثي عن الحذق والكياسة فتأتي انت فتبرهن على عدم وجود هاتين الخصلتين فيك ! واذا بلهجته تزداد خشونة : ولا تحسبن انك انت خال من الملامة في هذه المسالة، فان طيبة قلبك لا تتساوق مع المقتضيات العسكرية، وما هذا الضعف الذي ظهر في احد مرؤوسيك سوى نتيجة منطقية مصدرها انت. ولهذا فاني احتم ان يجري القصاص تحت اشرافـك الشخصي وان يكون عنيفاً قاسياً. ولم يكن ثمة طريق للحيد عن تتميم ما لا بد منه، وما ان اجري القصاص حتى حمل الحارس الى مستشفى الفرقة. وفي الواقع ان الحارس كان راضياً في قرارة نفسه بهذا القصاص اذ كان يتوقع قصاصاً شراً منه .

على ان القصة ما برحت ان انتشرت سراً بين اوساط متعددة من المجتمع في العاصمة، ففي الوقت الذي لم يكن فيه للصحافة حول ولا طول، كان للغط والاشاعات نصيب وافر، ولئن ضاع اسم الحارس وسط اللغط، ولئن اضفيت على القصة هالة من الرومانطيقية اخرجتها من جادة الصدق الا ان هذه الاقاويل ما انفكت ان طرقت مسامع شخصية دينية ذات مقام سام كانت على اتصال وثيق باسرة القائد .

ففي ذات يوم، عندما كان القائد يزور رجل الدين هذا الجزيل الاحترام، سئل عن الحادث فما كان من القائد الا ان قص القصة كما حدثت حقيقة، واذا برجل الدين يرهف سمعه في صمت واذا به يعبث بسبحته البيضاء غير محول عينيه عن محدثه، واذا به يقول تعقيباً على الحادثة : ان مد يد المساعدة الى من هم على شفا الهلاك ليست فضيلة فحسب بل واجب، ان من في وسعه المساعدة ويحجم، قابضاً يده، معرض لما تنطق به السنن والشرائع من قصاص ، ولكن من ينقذ نفساً فانه يؤدي واجبه .

وما من شك في ان رجل الدين كان راضياً عما حدث، وبحسب يقيني فان الله ايضاً كان راضياً عن فعلة الحـارس ، واحسب ان المؤمنين من الناس، والصالحين منهم، قد أعجبوا ايما اعجاب بمسلك هذا الحارس البطل المتواضع في قصتنا هذه ، البعيدة عن الخيال ، والخالية من يد التصنيع والتجميل .

بيت لحم — عيسى سليم المصو

قريباً :

الاساليب الشعريـة

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

مساند الشهرة في دنيا الادب الخالد

من سلسلة الامالي الادبية
بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

☆

لا بد لرجل الفكر ، ليترك اثراً عظيماً في عصره ، من ان يُحدث فيه احد تأثيرين او كليهما معاً : تأثير القيم الانتاجية . وتأثير الشخصية قدراً وايحاء .

فاذا تناولنا قولهم : « على اي اساس نال الشيخ ابرهيم اليازجي ذلك المنصب الرفيع في الادب العربي الحديث مع انه لم يترك آثاراً كبيرة فيه ؟ »

أجبنا بما يلي : اليازجي من اساتذة المنشئين النادرين في العربية وموئل البلاغة الحصيفة في الادب العربي الحديث ، نشأ في بيت مستقيم اللسان فصيح البيان ، وكأنه واحة من واحات الفصحى في صحراء عصره .

وكانت بواكير ادبه ، وهو ما يزال رطب العود ، ثماراً تلفت نظر العارفين الى قدر الاديب الناشئ . وتوحي ، بثقة كبيرة ، بذلك القلم الطالع مبشراً ببلوغ الاوج الرفيع في مجالي « الضياء » .

ولعل ميله المبكر الى الصحافة من جهة ، وعنايته بالابحاث العلمية من جهة اخرى ، ألهياه عن التوجه الى التصنيف الادبي الصرف ، فجرّت عليه الصحافة ، وهي آنذاك منبر بلاغة ، حرب الخصوم الذين تولوا الرد عليه ، فيما كان ينقد من سقطات اقلام الكتاب ، مفنداً اياها في مختلف الجرائد التي اشترك في تحريرها او أنشأها مستقلاً بها ، فمن « النجاح » التي اخفقت في الظهور ، قبل تمام العام على صدورها ، الى « الطبيب » التي اعيا الطب امرها فاحتجبت عند استكمال الحول ، وهي اداة ادب او سياسة في لبنان ، الى « البيان » « فالضياء » في مصر ، ومصر ملتقى الاقلام اللبنانية ، في فترة الانبعاث المباركة ، التي فيها اخذت تتحلحل اغلال العبودية على ضفاف النيل .

وعهد الشيخ الكبير هو عمر « الضياء » الخطير .

الا ان انضباطه الشخصي ، على الرغم من مزاجه العصبي ، في معركة الاقلام التي كثر فيها خصومه ، وكان ابرزهم نده الكفء احمد فارس الشدياق ، ضمن له احترام المقدرين الالباء ، ذلك الاحترام الذي ساندت فيه شخصية الشيخ الادبية مواهبه العلمية واخلاقه الابية واخلاصه الجريء للغة ، فكانت منزلته رفيعة في عصره ، على كره من توزيع اوقاته ومجهوداته هنا وهناك ، بين معلم ومصحح وباحث عالم ومقوم اقلام العربية وواضع مسميات كثيرة ومصطلحات عديدة للمستحدثات العصرية . وقد تكون هذه المهام التي اشرنا اليها ومؤلفه « نجعة الرائد » ومقاله الطويل « لغة الجرائد » وكتابه « الامالي اللسانية » مضافة الى عمله الغزير ، ضمانة لعلو مقامه وذيوع شهرته .

وقد تكون السنون التسع ، التي قضاها في غزير وفي بيروت منقحاً عبارة التوراة ، طبعة اليسوعيين ، والزمن الذي قضاه في إتمام شرح ديوان ابي الطيب ، الذي كان قد بدأه الاب فأنجزه الابن ونسبه الى الوالد براً بالابوة ، وشفع هذا الشرح المجهد الدقيق بتنقيح الارجوزة في علم النحو ، لابيه ايضاً وباهدائه فترة من عمره الغالي الى صديقه ، جميل المدور ، فهذب له فيها كتابه ، تاريخ بابل واشور .

فلو طرحنا هذه السنين الموقوفة على التضحية البنوية والوفاء للاصدقاء من عمره القصير لبلغت ربع عمره كاملاً او نصف المرحلة الانتاجية منه تقريباً . ومن كانت هذه حاله : انصراف الى علم الفلك ، فانتساب الى جمعيات علمية عالمية في باريس وانفرس والسلفادور ، وتنقيب لتصحيح المعجمات اللغوية وسقطات الكتاب الكثيرة ، في مرحلة كان لسلامة البيان فيها المقام الاعلى في ميزات الاقلام ، فان له بعض العذر ، ان لم يكن كله ، على الا يكون انتاجه الادبي كثيراً .

وعلاوة على ما قدمنا فان في القليل الذي تقرأه للشيخ ابرهيم اليازجي ، من شعر او نثر ، ما يوقفك موقف المعجب بهذا الرجل

ناثراً شاعراً ، ففي نثره يجري قلماً حصيفاً تحس في سطوره بلاغة توشك ان تكون اعجازاً فيستحق بها ان يعتبر امام منشئين، وتنظر الى معانيه فتأسرك اليها قوة فكر وبراعة لغوي ولباقة اديب ممتاز.

واليك شيئاً من مقال في موضوع « القمر » .

« هو ، بعد الشمس ، ابهى الاجرام السماوية على العموم ، ونكتة الفلك الارضي ؛ بل اغرب ما يرى الناظر في عالم النجوم اذا استقل فلكه يسبح فوق الوهاد والآكام ورايته يتراجع مع النجم وهو مجد في وجهته الى الامام ، فتخطى الابراج ؛ وكأنه واقف لا يحس له الناظرون انتقالا ، وظهر بشكله من الهلال الى البدر حتي يعود هلالا ، فكان قيد الابصار تراه ابداً جديداً ، على تقادم عهده ، وتتوهمه على قيد اميال عنها ، وهو الشاسع في بعده ، على انه ادنى العوالم من الارض مقيلا واعلقهن بها حبالا واقربهن تمثيلاً ، فهو صورة الارض في السماء ورفيق طيتها الى حيث لا تدري في اجواز الفضاء ، وشريك بختها فيما ارصد لها من احكام القضاء ، بل هو وليدها ، وان تقضي قبلها شبابه وشابت دونها اترابه ، وقد دفعته عنها منذ انفصاله فر الى حيث لا مطمع له في ايابه ، ثم عز عليها الا يكون بحيالها ، فاخذت عليه طريق انسيابه . فهو ابداً يدور من حولها مقطع النياط ويقطع معها اضعاف ما تقطعه من الاشواط . بل هو مثال الرونق والجمال وآية الابهة والجلال . اذا برز من الافق فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء وانفرجت الكواكب لمره في عرض السماء ، فأقبل يتنقل بينها، وهو يسير الهوينا، عزة وخيلاء. فسمت اليه الابصار اعجاباً واكباراً وانصرفت اليه الوجوه ابتهاجاً واستبشاراً » .

وفي شعره يتراءى لك الشاعر المبدع ، وان اقل ، فهو، وان لم يكن كثير البضاعة كتجار الاخشاب ، مثلاً ، فانه ، بلاريب قيم المعدن ، في انتاجه معرض صائغ . فاسمعه يقول في عود الطرب :

« وعود صنا الندمان قدماً بظله   وما برحت تصفو لديه المجالس
تعشقه طير الأراكة اخضراً   وحن عليه ريشه ، وهو يابس »

وله في ساعة دقاقة شيء من البدائع قال :

« ومحصية اعمارنا كلما انقضت   لنا ساعة دقت لنا جرس الحزن
فيا بنت هذا الدهر قد سرت سيره   فهل انت، دون الناس، منه على أمن؟»

وهذا الشاعر الناثر مسند جليل الاثر بنته له جراءته، اذ ظهر في صف الطليعة من اصحاب الفكر المتحرر ، يرسل في نفثات شعره حمماً من نيران الثائرين الناهضين . وفي قصيدته الرائية ، التي تجسب من ابكار الشعر الحر، انتفاضة عربية تلوح بذكريات العز وتومىء الى طلول المجد، قال، مستهلاً بالدعوة الى نبذ التوكلية الشرقية :

« برايك لذ اذا عز النصير   ولا يعبث بهمتك الفتور

الى ان يقول :

كأني بالبلاد تنوح حزناً   وقد أودى بعظمتها الثبور
يحن الارز في لبنان شجواً   وتندب بعد ذاك لعز صور
وتدمر في دمار مستمر   وما سكانها الا النسور
واضحت بعلبك وليس فيها   سوى خرب لعظمتها تشير
فلو درت البلاد بما عراها   لكانت من تلهفها تمور »

ولا يحسن بنا ان نمر ، في مجال التنويه بقدر الشيخ الشاعر ، دون ان نشير الى تناوله، من بعض مشاغله العلمية، موضوعات شعرية، ويكفي ، اشارة الى ذلك ، ان نستشهد له بقوله في الزُهرة :

«تمشي الهوينا، كما مر النسيم ضحى،   في هودج من شعاع النور وقّاد
يسارق الطرف عين الشمس منظرها   فالشمس، من دونها، حلت بمرصاد
حتى اذا هجعت في ليلها ظفرت   منها العيون بلمح المبسم البادي

ويخلص الى مخاطبتها ، مشيراً الى انها كانت معبودة شعوب قديمة ، فيقول :

رأوك للحسن معبودا وما وهموا   فالحسن معبود عشاق وزهاد
لعل للارض هذا الحظ عندكم   وانها لو علمتم دار إفساد

وانه لمن الخير ان نثبت له بيتيه المشهورين النامين عن نفس نبيلة ؛ فهما يصلحان لان يكونا رداً لكل من اعتدي عليه بهجاء مر ، وهما :

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت   أعرضت عنها بوجه بالحياء ندَ
اني اضن بعرضي ان يلم به   غيري فهل اتولى خرقه بيدي ؟

فبروز شخصية الشيخ ابرهيم في بره بالاب ووفائه وتضحيته للاصدقاء، وتسنمه منزلة رقيب البيان العربي ومدبج نماذجه النديرة، وبراعته في حسن الاغراض عن وقائع الخصوم ، واخلاصه للادب والعلم ، كل هذه جمعت له فدعمت له تآليفه القليلة ، فكان تأثيره في النهضة الادبية كبيراً ومرتبته عالية ، فترسم الكتاب بعده اساليب انشائه وانتفعوا باستحداثاته المعاني الجديدة، اذ وقعوا عليه مدرباً للاقلام المتمرسة بالتأليف والصحافة بعد ان كان معلماً للناشئة .

وقد توج هذا اليازجي الكبير مواهبه السامية بذوق مهذب أهله لان يكون واضع حروف لفن الطباعة والنشر .

ومن توفرت فيه كل هذه المزايا، فكانت ايامه شموعاً تحترق في خدمة الادب والعلم والذوق، يبدو خليقاً بان يتبوأ امامة البيان في عصره وان تؤمن له الامامة خلود ذكره، على الرغم من قلة آثاره المطبوعة .

نسيم نصر

تفــاحــة

ابعدي التفاحة الحمراء عني قبل ان تجرحها اشواك ظني
هي منك اليوم حب وهوى وهي بعد اليوم، ذكرى، آه، تضني
ابعديها انا لا ارضى بهـا هي شؤم وضـلال وتجني
فكرة لونها الاغراء مذ هبط الشر على انس وجن
ذكرتـني بهوى «آدم» اذ هتفت حواء بالصوت الاغن:
خذ حبيبي انهـا فـاكهة لا تسل من اين جاءت هي مني.
خدعت عيناه.. ! فافتن بها فهوى للارض من ضعف ووهن
ومضت حـواؤه في اثره تصبغ الارض بألوان التمني.

***

هـذه اسطورة مغموسة في دم الشهوة تذكي كل فن
ليلها يسجو عـلى آفاقهـا يسكب الخمرة دناً بعد دن
وهي في صرح الهوى وضاءة تضرم الاشواق بالثغر الاضن
لولب الروعة في اهدابها الف ويل للحنين المستكن.

***

ارجعيها ربما عدنا بهـا نحو فردوس الغرام المطمئن
مثلما جئنا بها نمضي بها كملاكين الى جنات عدن
هي ضوء القلب في اوهامه هي عذرائي اذا رحت اغني
ارجعيهـا هي حلم عابر لاله آده فرط التثني
هي حصن لامانينـا اذا قلب الدهر لنا ظهر المجن.

مصطفى محمود

باطـــل الاباطيـــل

ابعثي الليل في سنى احداقي واستثيري الضباب في آفاقي
اغرقي، بالقنوط، ما انبت الضعف من الامنيات، في اعراقي.
واهدمي كل ما بنيت، ولكن لن تري ومضة الاسى في المآقي،
انا شيعت هاجساتي واحلامي، وحطمت، يا حياة، وثاقي!

***

انت!.. هل انت غير وجه بغي كل يوم له طـلاء جديدُ؟
هل جموع الاحياء غير عبيد جرعتهم كأس الهوان عبيد؟!
والتعلات؟ والاماني؟ أكانت غير وهم يزجيه شوق بليد؟!
عبث.. باطل الاباطيل، ما نبني، وما نزجي، وما نستعيد!!

***

ها انا قد محقت روحي وقلبي فلتغصّ الدروب بالاشلاء!
ولتزمجر بي الرياح، فلن يطرف جفني، ولن يغيم صفائي!
سوف امشي على حطام خيالاتي، وانقاض صبوتي ورجائي.
هادماً ما بنته ايدي السكارى من محاريب في الثرى والسماء!!

بغداد — رشيد ياسين

الزهرة الحمراء

مهداة الى الانامل الزنبقية التي دست في كتابي زهرة حمراء

زهره الحب.. ارقدي في كتابي انت لحن من زغردات شبابي!
جرسه الحلو، اذ اراك، انتفاض في عروقي وخافقي الوثاب..
واشتعال الحنين بين ضـلوعي ورفيف التذكار في اهدابي
فأرى الامس من خلال دموعي وأراها تسير خلف الضباب!
خلف حلم يغلف الثغر بالذهل ويخفي احمراره بنقـاب!!

زهرة الحب.. يا التفاتة ذكرى وحديثاً عن امسيات عذاب
اين لحظ تموج فيه الاماني صادحات، توشحت باكتئاب
وجبين عليه مسحة وجد وشحوب من الاسى خـلاب
وشفـاه تململت راعشات باشتهـاء، وتمتمات رغـاب
اين يا زهرة الحبيب حبيبٌ سلب اللب بالعيون السوابي
وتوارى عن ناظري وقلبي تاركاً في الضلوع وهج سراب!

زهرة الحب يا سميرة سهدي وصديقاً ابثه كل ما بي
لا تخافي الذبول يمضي بطيب عبقري على الشفاه مذاب
انا ارويك من دموعي واعطيك اريج الخلود من اطيابي !
واحمراراً كبسم الوجد لوناً واشتعال الانوار عند الغياب !

يا جمالاً عبدته طي نفسي خيفة القيل فاستحل عذابي
سوف تبقى على شفاهي نشيداً ابدياً . . يسير في الاحقاب .

فؤاد الحشن

صرخة

يا إلهي قضاؤك - العدل- يجري أتراه على الورى ام عليا ؟
خبزك المشتهى وخمرك سالت قطرة من دم على شفتيا
فاض من قلبك الحنان فهلّا لي ابقيت من حنانك شيا !
عن مغاني الهوى نفيت فؤادي فلمن بعد نفيه عنك يحيا
اين عيناك يا إله الليالي لتصب النعاس في مقلتيا ؟
قبة الليل صدعت من انيني اتراها وعت وجودي الشقيا
أيموت المحب يأساً ويدنو منك من يعشق التراب الغويا

***

يا الهي .. نسيتني ! افترضى ان يواري النسيان ابنك حيا ؟

بغداد — **عبد الوهاب البياتي**

نهاية قصة

تقولين فيمَ اختلاج الاسى على شفتيك، وفيم الشحوب ؟
غدا سوف نترك هذا الوجود ونفلت من نزوات القلوب
غداً سيواري المساء الطويل هوانا وتمحو الدياجي الذنوب
وتصبح احلامنا ذكريات لها في ضمير صبانا ندوب

***

اجل ! سوف اخنق صوت الحياة وأدفن أحلامنا في الوحول
وألهو مع الماجنين الجناة الى ان يلف شبابي الذبول
واضحك ملء فمي هازئاً واحرق للشر قلبي الملول
واصرخ في نجم عمري الكئيب متى ايها النجم يأتي الافول ؟

***

تقولين : فيم اعتراك الشحوب ؟ ودربي تحف به الشائكات
اقلب طرفي بهذي السماء تروّعه ظلمة الكائنات
ضميري الذي عذبته الشرور تألم من ظلم هذي الحياة
لكم عشق الطهر في زهرة وهام مع الانجم الهائمات

***

ولما تمثلت فيه استفاق . . . وعربد كالنزوة العاتيه
وهدّم معبده كي يهيم بعالم اوهامك الواهيه
يناديك : انت ضمير الوجود وانك مبعث الحانيه
سيغفو وطيف الخطايا يحوم عليه ، فينهش احلاميه

***

سأذكر ايامنا السالفات لعلي اخفف من حيرتي
سأهرب من لذعات الضمير واجهش بين يدي وحدتي
سأحرق احلامنا الطاهرات وحبي المجنح في لذتي
فلا تسألي فيم هذا الشحوب فتلك النهاية من قصتي

القاهرة — **غائب طعمة فرمان**

بقاء

لهوت عن الحقائق بالقشور وما ادركت غايات الامور
رويدك ما الغنى في جمع مال وتشييد المنازل والقصور
بنى الاهرام بانيها ليبقى فمات وفاز حفار القبور
رويدك سوف لا تبقى الليالي بناء ليس من نار ونور

ستنهار العروش على ذويها ويذهب كل مجد من غرور
غدا ينهدّ ليلى كل بيت سوى بيت رقيق من شعور
الى م تنزلين سواه داراً اما تخشين عادية الدهور ؟

وديع ديب

حب

•

كيف ؟ لا تزعج حياتي بالسؤال
عمرنا بعض ليالٍ
دع جنوني ينسج الاحلام في فجر خيالي
ويلم النور من حولي ويهمي
ناثراً باقاته في اعين الليل الملم
شارباً من خمرة الحب باقداح الجمال

***

ها هنا الحب ! ومن حوليه طاقات زهور تسأل العمرا :
كم مضى عندك من يوم وكم لفلفت في جنحك بدرا؟
فيفح الضحك المكبوت لا يعبأ بالزهر الغرير !
اي عمر ؟ اي بدر ؟
انا لم اعرف مدى الدهر سوى الساعة فجرا
ما تراها غمرت كوني سحرا؟ . .
ساعد ضم الى الخافق صدرا
وفم يغمر في دنياه ثغرا
ودم يسري مع الروح وروح تتعرى
حلم لم يحلم الكون بأبهى منه او يعرف اقوى منه اسرا ! .

***

يا حبيبي ! او تنسى حبنا ؟ يوم كنا وابتسام الدهر منا ولنا
كل نجم كان يرعى ظلنا كل ورد كان يهفو حولنا
ينثر الطيب ويغريه بنا ! ؟ . .
او تنسى يوم اغفى الليل في الحب وراحا
ساحباً اذياله زهواً ووجداً وارتياحا
تاركاً من ثوبه قطعة ليل اسحم
لفنا فيها واغضى
عن جنون القبلات الملهم !

***

يا حبيبي ! من درى يوم اعتنقنا ؟
اينا انت ومن كان أنا ؟
انا نفسي لم اكن ادري
اي ثغر كان ثغري
اي صدر كان صدري
اي روح كان روحي اي فكر كان فكري
كل ما ادركه انا امتزجنا فمضينا
فكرة يقظى وحلماً يتثنى
صور جامحة من حبنا لفها الليل فرفت اغنيات ومنى

حمص **انعام الجندي**

صحوة

•

الآن ! ! . اصبحت ، بلا مقصد لا الامس ، من عمري ولا لي غدي
ضيعت امالي ، فلا تسألي عن موضع ، اقضي به موعدي
انا ! ! رفيق البؤس ، انى مشى ، مشيت ، منقاداً — ولم اقصدِ
قد كان لي دنيا ، تضج المنى فيها ؛ ويزهو ، كل حلو ندي
لا تسألي !! مذ غاب عهد الصبا ، اصبحت من دنياي ، صفر اليد
لا تسألي عني !! فهذا انا . . ، صدى تراتيل ، لدى المعبد
اموت ، في اجوائه ، مثلما ، قد كان في اجوائه . . . . مولدي

طرابلس **محمود عبسي**

الماضي

•

لم يزل راقصاً على اجفاني مثلما لاح في ضحى عنفواني
عرس للجمال عانقت الانغـام فيه عرائس الافنـ.ان
وشعاع اطل من مقلة الكون على قلب شاطئ. فينان
وظلال من الصبا حضنت حمراء.غرقى بجلهـا الفتـان
رافلات ثيابها بنجوم لمستهـا انامل الارجوان
غمزت نسمة الربيع فألقت كل ما تحتويه في الاردان
الاغاني رفت على ثغرها سكرى وشعت من مقلتيها الاماني
كلما دغدغت قواها يد النشوة اغفت على ذراعي حناني

***

هـكذا عاد طيفها ينشر الماضي ويهمي بذكريات حسان
هـكذا عادني، كما كان بالامس ، شباباً،وبسمة،واغاني
واستفاق السنا ، وطيف رؤاها كسراب يلوح للظمآن

بغداد محمد النقدي

احبـك

•

أحبك حتى تغار النجوم ، وتمعن في النأي انوارها
وتنشق للنور حجب الحياة ،توشوش للشمس اسرارها
فنبقى بقيثارة الحب لحناً يتيما يدغدغ اوتارهـا
احبك حتى يجف فؤادي وتذوي به خفقات الامل
ويذبل في مقلتي التشهي وتجمد في شفتي القبـل
احبك قبل انبثاق الجمال وبعد الخلود وقبل الازل .!
احبك جوعاً يمزق نفسي وينفث في مقلتي السعير
وفيضاً شهياً يغيب قلبي يفجر ملء ضلوعي الزفير
احسك رباً على رغباتي فألمح فيك ثراء الفقير
تسبحك الحمر من نغمتي وتهفو اليك خفايا الضمير .!
احبك في ضمة تضرّي حناناً وفي رقة ظـالمه
فنصحو مع الفجر لما تموت الدماء على نغمة جارمه
كأنك حلم يداعب ظني لانعم باليقظة الحـالمه
كأني اضم السماء اذا ما ضممتك يا نشوتي الناعمه . !

كولك - السنغال ادموند الفلفلي

الـربيـع

•

ملهم الامنيات والاحساس   ورجـاء معطر الانفـاس
ونسيا يرق في كل قلـب   يبعث الشعر والمنى ويواسي
ونشيد الجمال في كل نفس   واماني العشاق في الاغلاس
انت حس قد باركته يد الله فأضحى وعرشه بك كاسي
غن لي يا ربيع اغرودة الحب نشيداً يسمو به احساسي

***

يا ربيع الآمال اسكر فؤاد السكون وامنحه منك ابهى لباس
وبجيد الزمان فانظم عقوداً   من كريم الياقوت او من ماس
واقم ملكك العظيم على الدهـ   ـر فخوراً بزهره الميـاس

مراكش ابراهيم احمد الهلالي

ذكريات يافا

•

كيف أتلو عليك شعر الوداع   واصطخاب الامواج ملء سماعي
والهدير الهدير ما زال يدوي   في كياني ومهجتي ويراعي
وحياة الشطئـان تجتاح احسا   سي بلحن من نايها الملتاع ؟!
إيه يافا . . ايامك الغر هل كا   نت اساطير ام حديث ابتداع
اقفر البحر يا عرائس احـلا   مي . . فلا رحلة بحضن الشراع
اقفر البحر ، لا خيال ولا سحر ولا رقصة بدنيا الشعـاع
والليالي القمراء والسهر الضا   حك جفت على جبين الصراع
والكؤوس التي رشفنا لماهـا   هي رجع من قهقهات الضياع
والصبابات حسرة وعويـل   تتلظى في كل شبر مباع !

رام الله - فلسطين حنا جاسر

مكتبة الاديب

حولية الثقافة العربية

السنة الاولى – تأليف أبو خلدون ساطع الحصري – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – حجم كبير – ورق صقيل – ٦٢٣ صفحة

يقول العلامة ساطع الحصري في مقدمة هذه الدراسة الشاملة لاوضاع الثقافة والتعليم في البلاد العربية: «لقد ألفت هذا الكتاب لافتتح به سلسلة الحوليات التي ستنشرها الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عن شئون الثقافة كل عام. من المعلوم ان الحوليات تؤلف – من حيث الاساس – لاستعراض ما يستجد من الامور خلال العام الواحد؛ ولكن لما كان فهم الامور المستجدة حق الفهم يتوقف على معرفة الاحوال السابقة معرفة وافيـــة، فان مؤلفي الحوليات يضطرون الى افتتاح مباحثها بمعلومات عامة عن الاحوال الراهنة وعن عوامل تلك الاحوال.

وفي مكان آخر من المقدمة يقول: هذا ويجب ان يلاحظ من جهة ثانية ان الاوضاع الثقافية في مختلف الاقطار العربية متنوعة تنوعاً شاذاً. فهناك دول عربية مستقلة تشرف على شؤون الثقافة فيها وزارات وطنية، غير ان كل واحدة منها قد ورثت عن الماضي ميراثاً يختلف عما ورث غيرها، فاتجهت لذلك اتجاهـاً يختلف عن اتجاهات زميلاتها.

وهناك بلاد عربية غير مستقلة، ظلت الثقافة فيها تحت هيمنة دول اجنبية، تتحكم في شؤونها عن طريق الانتداب او الحماية او الاستعمار، وتوجهها الاتجاه الذي تتطلبه مصالحها السياسية. ثم يلخص الاستاذ العلامة هدفه من نشر هذه الدراسة القيّمة قائلاً:

«فلا مجال للشك في ان هذه الفروق ستتضاءل كلما تخلصت الدول العربية من النظم التي ورثتها عن عهود الاحتلال والانتداب وكلما عدلت النظم والاوضاع القائمة في بلادها، وفق ما تقتضيه مصالحها الحقيقية بنظرات شاخصة نحو المستقبل البعيد، والمثل الاعلى الذي تنطوي عليه فكرة العروبة الخالدة.»

مثلهن الاعلى – خديجة ام المؤمنين

تأليف الشيخ عبدالله العلايلي – مطبعة الهلال – بغداد – حجم صغير – ١١٦ صفحة

والكتاب افتتـــاح لسلسلة تراجم يتحدث عنها الاستاذ عبد الامير السبيتي في مقدمه الكتاب فيقول: «وقد حفزنا على التفكير في مثل هذا ما رأيناه من اتجاه نفر من شبابنا الطالع نحو الادب الرخيص تطلع به علينا الكثرة من دور الطباعة في ايامنا هذه» ثم يقول: «وليس ادل على ذلك من تكاثر المجلات المصورة والملونة وتزاحمها في نشر هذه الصورة والابداع في هذا الاخراج كأنما القارىء العربي اصبح قارئاً الرسوم والاحاديث التي ليس لها من الاثر سوى تسويد تلك الصفحات».

«لقد توزعت السبل، وتشتت الاهواء، وانتشر الناس موزعين في تلك الطرق المتشعبة كل يهدف الى امر ويتجه الى مرمى، تاركين وراءهم كل ما ورثوه ونشأوا عليه من مبادىء ومثل...»

والكتاب سيرة حياة خديجة ام المؤمنين، وقد عالجه علامتنا العلايلي بما عرف عنه من عمق فكر وروعة في التصوير، واستقراء للمعاني الانسانية والجمالية في البطولة والعبر.

قال يحلل نفسية السيدة خديجة: «فلا بدع ان فار في قلبها اتون حزن، كان له في شؤون عينيها مجاري دمع لا يرقأ.

«والسيدة خديجة ان حزنت حق لها ان تحزن، ومرير الحزن ايضاً، فالأسى يوقظ الاسى، والمصاب يحيي المصاب، وأبو هالة غداة اليوم كأنما لم يفصل دونه امس بعيد... فذكراه تخطت حواجز الذكرى لتحيي ايضاً في ندوبها الطرية، واخزة وخزهـا طائفة بأشواكها.

«وانها لفي معتنق اللجة تعلو بها وتهوي، وتكتنف حولها وترق قضى والدها فلم تمسك من نفسها جزعاً واشفاقاً، لقد جرعت الغصة اكؤساً دهاقاً، جرعتها حتى الثمالة..

«وكانت من امرها مع القدر وأمر القدر معها – صنو زنبقة الغور – فيا تبث من الحياء وتبعث من شجون.

«وجمالها المرزأ او المخدش بالارزاء، يقفك منه عند عقدة تأمل. تثير منك كثيراً، وتفتح قلبك على صور غنية بجمالها غنية بآلامها، وهي في هذه وهذه مشوبة بأسرار وما استغلق ذلك حتى على عقل الجاهلية فكانت تدعى اثناءها لمكان هذا الحس: «الطاهرة»

من العراق - شعر

لعدنان الراوي – عدد قصائد المجموعة ٣١ – مطابع دار الكشاف – بيروت – ١١٠ صفحات

يقول الشاعر في مقدمة مجموعته الشعرية هذه « وبعد فاني يوم اصدرت كتابي الاول في حزيران ١٩٤٧ كان التفاؤل يغمرني من كل جانب وكانت الاندفاعات النفسية التي املت على قصائد ذاك الكتاب متقمصة نوراً من الامل ، واليوم وانا اكتب مقدمة هذا الكتاب احس الالم الدفين ينطلق من كل جوانب قلبي واحس بسحابة كئيبة من الخذلان واليأس .. »

من قصيدته جيشنا وجنودنا :

هو الجيش، لا الشعر ، ما ينفع	سأسكت ان نطق المدفع
فهذي الجنود وهذي السيوف	صواعق للذل لا تخضع .
وجيش العراق ، هو المرتجى	وفيه احتمى الامل الاروع

***

بنو العرب ، لن يرتضوا ذلة	ولن يستكنوا ولن يخضعوا
وقد آن ان نستبين الحياة	بعين من العز لا تدمع . . .

خليل مطران - شاعر العصر

دراسة لنجيب جمال الدين – قدم له الشاعر صلاح اللبابيدي مطبعة دمشق – حجم متوسط – ١٦٢ صفحة

من مقدمة الشاعر صلاح اللبابيدي « لقد درس صاحب هذا الكتاب شعر مطران درساً مستفيضاً واحبه حباً جماً ، حتى بالغ في الاعجاب مبالغة لا يرضاها الاخلاص للادب فعند بحثه الوحدة الفنية قال « ان خليل مطران اول من وفاها حقها من العرب ، وآخر من وفاها ذلك » . .

. . « أنا اقول ان المؤلف على سعة ادبه وعمق بحثه وفى خليل مطران حقه من التحليل ولكنه قد رسم لنا طريقاً اذا سار عليها الباحثون من بعده أمنوا العثار ، ووصلوا الى الحقيقة » .

ومن الكتاب « خلاصة التجديد – الآن اريد القول ان تجديد مطران في الشعر العربي لم يكن كحركة الابداع التي قامت في اوروبا على انقاض الكلاسيك ، لان تلك الحركة الابداعية اتصفت بالشعور المرهف والخيال المترف اكثر ما اتصفت بالتوجيه الاجتماعي او الخلقي او العقلي . » .

. « ان مدرسه تجديده – مطران – وان لم تظفر بالكثير من الذيوع والامتداد حتى الآن ولكنها ولاشك ستكون طريقتنا التي لا معدي عنها في ادبنا القادم ! » .

السراب

لنجيب محفوظ – قصة – لجنة النشر للجامعيين – مطابع دار الكتاب العربي – القاهرة – حجم متوسط – ٣٢٧ صفحة

« ولكني شديد النفور بطبعي ، شديد الخجل ، محب للوحدة والعزلة ، عديم الثقة في الغرباء ، وزاد طبعي تعاسة ما جبلت عليه من صمت وعي وحصر ، فلم احسن الكلام قط فضلاً عن الدعابة والمزاح . لذلك جميعه رموني بثقل الدم ، وقد آلمتني هذه الصفة حتى سألت امي يوماً :

– هل انا ثقيل الدم يا اماه ؟

فرمقتني بنظرة ارتياع وقالت بجدة :

– من قال عنك ذلك ؟

فقلت في حياء : التلاميذ كلهم !

فصاحت بغضب : « قطعاً لالسنتهم ، انهم ينفسون عليك ادبك الكامل والخنطور الذي يحملك بينا يتسكعون على اقدامهم اياك وان تأخذ منهم صديقاً » .

احمد الله ، وقصص اخرى

تأليف محمود تيمور بك – دار المعارف بمصر – حجم متوسط – ٢١٧ صفحة

« واسفر يوم عرف فيه محمد افندي ان زوجه تستقبل بين جنبيها ولياً لعهده فعاجلته فرحة واشراق . . ثمة وليد سيطالعه بعد شهور . . وليد يضاف اسمه الى القائمة السابقة الحافلة بالبنين والبنات ولكن ما أبين الفرق بين اللفيف القديم والوليد الجديد . اولئك لا صلة بينهم وبينه . فكأنهم ليسوا منه . . اما هذا الجديد المنشود فله وضع غير ذلك الوضع . انه يتقدم كالزهرة النضيرة يضيع عطرها من حوله ، فيملأ حياته من بهجة وايناس ، انه يقدم الدار مثيراً فيها النشاط والمراح ، انه ابنه الوحيد الذي يعرفه حق المعرفة ويتمتع به جد التمتع . . انه ابنه الوحيد الذي يفرغ لتنشئته تنشئة طيبة وفق هواه . . انه ابنه الوحيد الذي هو جدير بالانتساب اليه ! » .

مذكرات الارقش

تأليف ميخائيل نعيمة – مكتبة صادر بيروت – حجم متوسط – ١٦٣ صفحة

« من هو الارقش ؟ . .

. . « الناس قسمان : متكلمون وساكتون . أنا قسم الانسانية الساكت – وما بقي فمتكلمون ، اما البكم والرضع فلغاية ختمت

الحكمة الالهية على افواههم فلا يتكلمون في حين اني ختمت على يدي بفمي . وقد ادركت حلاوة السكوت ولم يدرك المتكلمون مرارة الكلام .

لذلك سكت والناس يتكلمون . .

. . « انا ناسك بين الناس ، والتنسك بين الناس اين من هوله التنسك بين الوحوش . فأنت تستطيع ان تأمن جانب الوحش وان تكسب الفته باللين والمحبة ، وان اخفقت وغضب الوحش عليك فهو لا يمزق منك غير جسدك ، اما الناس فيحسبون اللين والمحبة منك ضعفاً ويتحاشون الحاق اقل ضرر بجسدك الغافي خوفاً من قوانين سنوها في حين يستحلون جعل روحك الابدي مشاعاً للشارد والوارد ، ولا قانون يصدهم ولا محكمة . لذلك تركت جسدي مشاعاً لالسنتهم وسيجت روحي بالسكوت . رأوا آثار الجدري في وجهي فلقبوني بالارقش . اما روحي الملتف بالسكون ، البعيد عن ابصارهم الكفيفة ، فلم يجدوا له اسماً ، لذلك يحسبونني مختل الشعور ولكنني من وراء سكوتي استطيع ان ابصر ما في قلوبهم واقرأ ما في افكارهم لانني احكم على افكارهم لا بما ينطقون بل بما لا ينطقون : لذلك سكتّ والناس يتكلمون » . .

وابل وطل وخفقات قلب

مجموعة شعرية – لابراهيم عوبديا – مطبعة مجلة العالم العربي بالقاهرة
حجم متوسط – عدد القصائد ٧٣ – ١٤٥ صفحة

حسناء :

صبغ الجمال نضير وجنتها	بدم الشباب ورونق الزهر
وجلت سريرتها ملامحها	يا للجمال الطاهر النضر
واسترسل الشعر الاثيث	وتوج رأسها بجدوله الحمري

وتألقت بين النهود قرنفلة يشع بريقها الدري
وتأنق اللحظ الدقيق تأنق شاعر في فكرة بكر
وتناسق القد الرشيق كما تتناسق الالفاظ في الشعر . .

مناهل الادب العربي

تلقينا من مكتبة صادر سبعة اجزاء (من ١٢ الى ١٧) من « مناهل الادب العربي » وهي سلسلة قيمة تصدرها المكتبة للتعريف بوجود الادب العربي القديم والحديث والاجزاء تعرض مختارات من أدب الاستاذ « بطرس البستاني » فا « براهيم اليازجي » في جزءين ، فحياة الشريف الرضي وشعره في ثلاثة اجزاء ، ثم منتخبات من القصاص اللبناني الاستاذ « كرم ملحم كرم » !

فاذا كان لنا ان نقول كلمة في هذه السلسلة القيمة المنوعة فهي انها عمل أدبي جدير بالتقدير ، خاصة وهي تعنى بالتبسيط المادي فتكون في متناول القراء والطلاب وهي ، تعطى ، باختصار ، وشمول دراسة ، صفحات منتخبة من ادبنا القديم والحديث .

النازحة

شعر – لمحمد شمس الدين – البقاع لبنان – حجم صغير – ٩٨ صفحة

يقول في قصيدته بعنوان النازحة :

على الدرب ، والفجر شق الظلام وارخى ذؤاباته الساطعة
وشدو من الطير حلو اللحون ، ترجعه الفتنة الساجعة
وكل ينضر قلب الحياة فيوقظ أعينها الهاجعة . .
على الدرب لاحت ، وفي عينها ، بقايا دجى حالك ، قابعة
يلفلفها البؤس ، يا للشقاء ، وتحضنها الحيرة الجائعة

مواكب الحرمان

شعر منثور – لسالم الكاتب ، مطابع دار الكشاف بيروت – حجم وسط – ٦٣ صفحة

من قصيدته الظلام :

« لماذا يرهبونك ايها الظلام ؟
وانت العين التي ترى وتستر

والاذن التي تسمع ولا تنطق
لماذا يفزعون منك ؟
وأنت تخفي موبقاتهم وسفاسفهم
وتستر عيوبهم وفضائحهم
لماذا ينعتونك بأقبح النعوت ؟
وأنت حبيب الشقوة والوحدة
وفيك يلوح الامل...
وتمتزج الارواح بالارواح
وتحلق النفوس بالنفوس
تكلم أيها الظلام ؟
ولكنك لا تجيب !
فسكوتك هذا الطويل
سر عظمتك الخالدة .

سجم من ينبوع

مجموعة شعرية – لعبدو مسوح – مطابع ابن زيدون بدمشق – حجم صغير – عدد القصائد ٢٠ – عدد الصفحات ١٠١

من المجموعة : هلا ذكرت .

هلا ذكرت هوانا	يوم التقت شفتانا
ايام كنا وكان	الغرام كل منانا
وقلت لي : يا حبيبي	اطلق لدي العنانا
وذاب قلبك وجداً	وذاب قلبي حنانا
وكان لثم وضم	وكان شعر ونغم

وسكرة احيانا .

ابو جعفر النقيب

تأليف الدكتور مصطفى جواد – وهي الحلقة الثانية من سلسلة حديث الشهر التي المحنا اليها من قبل – مطبعة الهلال – بغداد – حجم صغير – ١٢٣ صفحة

قدم المؤلف منتخبات من آثار ابي جعفر بعد ان عرض تاريخاً لحياة المترجم له .

وكتب في نهاية هذه الدراسة الموجزة المفيدة : « هذه الاقوال تصور لنا وجهاً من وجوه الثقافة العربية الاسلامية العراقية في عصر مضى من العصور الزاهرة بالعراق » .

الارادة سر تقدم العرب والامم

تأليف منير الشريف – صدر عن لجنة « العبقرية العربية بدمشق » مطابع ابن زيدون بدمشق – حجم متوسط – ١٣٩ صفحة

ما هي الارادة ؟

« الارادة هي اثمن ما يتحلى به الانسان في دنياه ، واعظم منحة الهية للبشرية ، تفوق كل المنح لانها اساس النجاح في العالم ، حيث تسيطر على الاعمال الكبيرة فتسيرها انى شاءت ، وعلى القوى البشرية ، فتجعلها تقوى على كل امر .

..« الارادة هي حاكمة على كل شيء ، بل هي كل شيء ، فمنها ما يكون موهبة موروثة تأتي الانسان من غير ان يعلم ، فتعلمه وتثقفه ، وتغنيه ، وتجعله بطلاً من ابطال العالم في كل عمل قائم به..»

الحائرة ضائعة

قصة امرأة – تأليف هند سلامة – مطابع الاستقلال ببيروت حجم متوسط – ٩٥ صفحة

« انها ليست بقصة ، بل هي قطعة من صميم الحياة . اذ تبين لي فيها المغامرة والطموح ، اليأس والانتقام ، كما لمست فيها الحب المادي بجواهره الصقلى الى جانب السلطان الروحي ، وقد شاء الله ان أجد بطلة كتابي في اقرب الناس الي اذ عشت بالروح مع هذه الرفيقة التي فتحت قلبها للمغامرات واقدمت عليها رغم ما اعترضها واعترض خطاها من عثرات فقد سلخت بمسها ثوب الحقائق لتطير باجنحة الخيال ضاربة اسوار الابدية متوهمة انها ستبلغ في هذه الحياة ما ليس في هذه الحياة فسبرت اغوار الحب في حلاوته ومرارته وجرعت كأسه حتى الثمالة .» .

رياض الفكر – مختارات في الادب والاجتماع

تأليف عبد الرسول الشريفي ، مطبعة الغري النجف – حجم متوسط – ١٠٧ صفحات

قصة حوار – انا ونفسي – على قدر ما يستحق – تاريخ حياة فكرة – قصة المجمع العلمي العراقي – مذاهب الادب العراقي .

ونقتطف من كلمة « المخلوقات » :

شقية تلك المخلوقات الصغيرة
فمرة نراها تنساب مسرعة فزعة
وحينا تجري بهدوء وطمأنينة
واخيراً نجدها تموت في صمت يائسة قانطة
انها تجري لتبحث عن قوت لها، غير انها ترتد خائبة فاشلة ،
فمنها ما تغوص في اعماق البحار
او تدفن في طيـات الارض
او تتلاشى خلال طيات الاثير
لاننا جميعاً نحاربها ونركض وراءها لنصطادها
ومع ذلك فهي لا تحمل غيظاً نحونا
بـل تصفح عن خطايانا وذنوبنا تجاهها

همس الايام

– مجموعة اقاصيص – تأليف عبدالله نيازي
مطبعة الشرق بغداد – حجم متوسط – ١١٠ صفحات

من اقصوصة غرام راقصة :

لم كلفت نفسك هذا العناء ؟ وأنا لم اعتد الشرب .
– او لم تشرب حتى الآن .. ؟ –لا ..
– ولا تدخن .. ؟ – لا .
– حتى ولا .. ولا .. – حتى ولا اقرب الاثم .

فاسترسلت في ضحك متكسر كأنه اللؤلؤ وقالت :
– لاية غاية تأتي الى هنا ؟ .
– لاني اجد راحة ، او بعض الراحة في الفصل الهزلي الذي يقدمه ممثلو هذا الملهى .

– فقط ؟ – فقط .

وعاد الصمت وقد حاولت الكلام ، الا انه طلب منها الاذن بالانصراف وحاولت ان تستبقيه مدة اكثر ، الا انه اعتذر وشيعته الى الباب وطلبت منه الا يتعجل بالانصراف في الايام القادمة فوعدها وانصرف » .

Oxford Progressive English for Students in The Middle East

تلقينا من جامعة اوكسفورد كتاباً مدرسياً ، ذا طريقة جديدة في تعليم اللغة الانكليزية طبع على مطابع جامعة اوكسفورد في جزءين في الاول عرض للدروس والثاني ملاحظات الاساتذة وهو من تأليف الاستاذ أ–س هورنبي . الجزء الاول حجم متوسط – ٢٣٨ صفحة – والثاني حجم متوسط – ١٦٧ صفحة – وهو ذو فائدة كبرى لطلاب هذه اللغة .

يوميات هالة

تأليف السيدة سلمى لطفي الحفار – دار العلم للملايين – بيروت
مطابع دار الكشاف – حجم متوسط – ١٦٥ صفحة – الطبعة الاولى

وهي ذكريات رائعة الاسلوب، جزيلة العبارة ، عميقة بما صورت من احاسيس واوحت من اجواء ، وهي قصة فتاة تدون ذكرياتها ، ثم تلم ببعض الحوادث السياسية التي كان والدها السيد لطفي الحفار بطلها.

الخميس ٩ كانون الثاني ١٩٤١ .

اصبح الناس جميعاً بعد البراءة مخلصين .. فتتابعوا زرافات ووحداناً حتى غصت بهم الدار وامتلأ جوها تهاني، وتباريك ، فلم تعد تعلم البعيد من القريب والبغيض من الحبيب ، فلله ما اعجب الانسان ! ان شمائله كالاصداف لا تظهر حقيقتها الا بعد انكشاف ما يكنها من قشور . فمنها ما تحمل لؤلؤاً قيماً صافياً ، ومنها مـا تكون فارغة خالية من كل جوهر ، ومـا اندر الاصداف ذات الجوهر وما اكثر الخاويات الخاليات » ..

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة عماسا تزيجا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سر اليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل
الارجنتين شيلي بوليفيا الاورغواي فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا



جولة الأديب في شهر

شاعر البؤس والبوهيمية

بقلم سعد جمعة

•

قلت للشاعر والشاعر ذو سهم يطيش
أنت ان عشت تمت جوعاً وان مت تعيش

ما أصدق[1] هـذا القول في شاعر الاردن الاكبر، مصطفى وهبي التل[2]، الذي فجعنا به منذ أشهر، ونحن احوج ما نكون الى شدوه الحلو وشجوه الحنون، ففقدنا لساننا الجهوري وصدانا الصادق وبلبلنا الشادي، الذي طالما تنفس بآلامنا، وانعكست على صفحة فنه الصافية آمالنا، وحدا باشواقنا الى البشائر اللائحة على الافق القريب.. ومع ذلك، مع كل ذلك لم يزود في حياته زاداً، ولم ينل غير الجحود والعقوق والحرمان، فعاش ومات وعلى شفته بسمة حسرى، وفي اعماق روحه دموع.

كان، رحمه الله، لرهافته واصالته، حريصاً على الانسحاب بذاتيته العريقة الى الخارج، ليجعل لتجربته القدرة على المشاركة الوجدانية في الالم الاجتماعي العام، فبقدر ما كانت حياته مليئة بالمآسي، كانت حافلة بالنغم المواسي، فهو يغني وكيانه مشدود الى ما حوله ومن حوله، لشدة لصوقه بمجتمعه، وتجاوبه معه اعذب تجاوب واصدقه واجداه.

وكانت له فلسفة «رواقية» خاصه في التعامل مع الدنيا والناس. اما الدنيا فقد قال لها منذ عرفها: «غري غيري»! وانصرف عنها في بساطة تأنف الضجة والاعلان، وقضى في نفسه على انفعالات المخاوف والرغبات، دون ان ينسى واجبات مهنته الخطيرة، او يجنح الى التشاؤم المنخوب او الشك في فائدة فنه او قيمة ربعه، بل كان يلقي الآلام ببسمة ساخرة لا تضمر الحقد ولا تعرف التغرير..

واما الناس فقد ابتلى منهم بما لا زيادة وراءه لمستزيد: وفى لهم فغدروا به. تحفى بهم فأنكروه واقصوه. احبهم فكرهوه. وكان لاتقاد شعوره تؤذيه اللمحة الغادرة واللفتة الماكرة.. هذا بالاضافة الى ما كان يمضه من نزاع ملح في اعماق نفسه بين نزوعه المثالي وبين الملابسات والاوضاع. فلم يجد في غير صبوات الهوى واكؤس الطلا، مستروحاً لغربته وأساه.. حتى اذا انتشى بخمرة الدن، وخمرة الاعين النجل، همس بذلك النغم العلوي..

ولو كلفت ترجمة حياة هذا الفنان في جملة، للخصتها في الكلمات الثلاث المأثورة: وُجد. فتألم. فمات!..

فهو قد وُجد، وجود الضرورة بين عدمين، دون ان تتاح له نعمة الهدوء الروحي، قضى الله له ان يكون كتلة متوفرة من الحس العنيف، والحساسية صنو الالم..

وكان حيث ينفث أناته السخينة، لا يشكو انه لا يملك، بل يشكو انه لا يملك ان يعطي، فلم يكن اسرع منه الى البذل، لو صورت الاريحية لكانته، وكان كرم نفسه كرماً مؤثراً حقاً، وكان يجد العار كل العار في ان يكون مكفياً وغيره لا يجد الكفاف، فكان يقول لمن يلومونه على السرف:

كفى بك داء ان تعيش ببطنة وحولك اكباد تحِنُّ الى القدّ

وأن أنسَ لا انس يوم سأله احد «اثرياء الحرب» عن سبب اعتلال صحته، فأجابه بقول الشاعر:

واني امرؤ عافي أنائيَ شركة	وانت امرؤ عافي انائك واحد
اتعجب مني ان سمنت وان ترى	بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
افرق جسمي في جسوم كثيرة	واحسو قراح الماء والماء بارد

ثم غمز ذراعي وهمس في اذني قائلاً: «من حسن الحظ ان هذا السخيف لا يفقه هذا المعنى اللطيف»..

وكان رحمه الله، موكلاً بنقد الظلم الاجتماعي، وتسقط لؤم الدنيا وصغار الناس، فكان لا يفتأ يردد: «انظر حيث تشاء لن ترى الا اسنمة توضع واخفافاً ترفع وحقاً يرجى عند اهله».

كان صريحاً في عالم موبوء بالنفاق، شهماً في دنيا صديقة انذال،

---

(١) حديث القي من محطة الاذاعة الاردنية.

(٢) ولد شاعرنا الكبير في مدينة «اربد» حاضرة اللواء الشمالي في المملكة الاردنية حوالي سنة ١٨٩٣ وتلقى العلم في المدارس التركية، وكان من طلائع شباب حركة التحرر القومي. وما كاد الوضع السياسي في بلاده يستقر على حال، حتى انصرف الى الخدمة العامة فاشتغل بالتعليم، ثم درس الحقوق على نفسه، ونقل الى سلك القضاء.. ثم اختير متصرفاً للواء «البلقاء» لكنه لم يطق قيود الوظيفة فهجرها الى ميدان العمل الحر، فكان محامياً لامعاً لا تنسى مرافعاته القيمة ذات النفحات الانسانية التي كان ينظم معظمها شعراً سائغاً يجري مع سليقته الفصيحة.

وكان، الى ان وافاه القدر المحتوم، موضع عطف ورعاية وتقدير حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك العالم الشاعر عبدالله بن الحسين حفظه الله.

وفياً في رهط غدارين .

وسرعان ما ضوي بلهب نفسه الشاعرة فاستحال الى هيكل عظمي تجوس في اطلاله خيالات وأوهام . وذكريات . واكرهته العلل المتواكبة على الانطواء بعيداً عن الافنان التي طالما شغفها غناء وتطريباً ، وعن الخلان الذين خلفوه وحيداً شريداً ، حتى أمسى فيما يقول : «كيتامى الزط لا احد يرعاه» ومات غريباً ، فانطوت صفحة انسانية نادرة من الخلق الفذ والفن الاصيل ، والفناء في الديرة والعشيرة .

اما شعره فصورة نفسه السمحة العامرة بالمحبة الهامسة بالانين . فهو صاف يجري في سهولة ويسر وانسياب ، لا تحس معها افتعالا وابتساراً ، فهو بذلك في مقدمة الشعراء المعاصرين صفاء ديباجة ونقاء اداء ، وصدقاً في الانفعال والافضاء ، وان كان سريع اللمسة ، ساذج التناول ، عفوي البادرة ، لا يهم بالغوص على التجارب العميقة والتغلغل وراء الغموض الغائم الذي يبعث على التداعي الدائم النبض .

وخصائصه الاصيلة : رقة الشعور وصدقه ، ورهافة الحس ونفاذه . . ثم السليقة المواتية ، والطبع المسعد ، والاستجابة الحانية لآلام المجتمع ، ثم الامعان في الكأس الروية والهوى العذري حتى يصبحا من جنود الهامه . واثر الخيام في شعره اوضح من ان يدل عليه .

وقد تميز فوق ذلك ، بوهبه لا تجاري في براعة الاستهلال ، وحسن اختيار اللفظ الموحي ، واستعماله في أبانه ببديهية ملهمة وذوق مستنير ، وانغمه عبير شخصي لا تخطئه يترقرق بالحرقة والحرارة والوجد النزيه ، يغلف ذلك جميعاً لحن منغوم في بساطة اليفة .

وعلى الرغم من لا أباليته واستهجانه بدنيا العرف والتقاليد ، كان آية الآيات في عفة الازار وطهارة الذيل ولطف المنزع ، لانه كان صادق اللوعة يحترق بنار الحب الاكيد .

ومما يؤخذ عليه : فقدان الوحدة والتسلسل في قصائده لانه كان ينظم كيفما اتفق وحيثما اتفق ، كما يؤخذ عليه اهمال النسج لقلة عنايته بالتهذيب والتنقيح وضعف جلده على التقصي والتروي والمعاناة . واخيراً ، لا آخراً ، يؤخذ عليه طابعه المحلي ، اذ اهمته مشاغل الحياة المحيطة به ومشاكلها المرهونة بزمانها ومكانها عن التحليق البعيد .

وجملة الرأي فيه انه شاعر واقعي اجتماعي واضح الاتجاه صريح الدلالة سريع الانفعال والاستجابة واداؤه مؤنس مباشر ، تميل اليه النفس في انعطاف وولوع . وموسيقاه رعشة جديدة في الشعر العربي المعاصر . وهو لو اتيحت له ثقافة اعظم وبيئة ارحم واتصال اوثق واعمق بالمذاهب الفنية العالمية ، ليتسع افقه وتغنى روحه ، لو اتيح له بعض ذلك لاربى على الغاية وتجاوز المدى واتى بالأعاجيب . وعلى اي حال فهو شاعر الاردن الأكبر غير منازع !

وقد يسأل سائل : ألم يجمع شعر هذا الانسان في ديوان ، فيجيب هو ، رحمه الله :

قالوا : لشعرك عشاق بودهم … لو أبصروا بعضه في شبه ديوان
فقلت : شعري أشلاء مبعثرة … كأنها عمري ، في كل ميدان !

فعسى ان يقيض الله لتلك الاشلاء الغالية من يلم شملها قبل ان يطويها العفاء . واليكم مقتطفات من روائعه :

هذا هو تهزه الانغام في مضارب النور ، فتذكره قومه وآلام قومه فيهتف من اعماقه :

يا اخت سلمى في غناك عذوبة … تشجي ويغرق دمعها احزاني
ما شمت ومض البرق في نبراتها … الا استبنت بشجوها ألحاني
ورأيت في مرآة بؤسك صورة … وقرأت فوق اطارها عنواني
أهلوك قد جعلوا جمالك سلعة … تشرى وباع بنو أبي اوطاني
وذووك قد منعوك كل كرامة … وانا كذلك حارسي سجاني
يا بنت في إسبال جفنك محمل … للاشتباه بأن لحظك جاني
وبأن هذا القلب عاش بأمنه … عينان – واقلباه – سوداوان
لا « مدعي عام اللواء » أجارني … من سحرهن ولا « الرئيس* » حماني

وقال يشكو البث الى طيف « أم أولاده » الذي زاره مغضباً وهو في المنفى :

أهكذا حتى ولا مرحبا ؟ … لله أشكو قلبك القلبا !
اهكذا حتى ولا نظرة . . … ألمح فيها ومض شوق خبا ؟
اهكذا حتى ولا لفتة … انسم منها عرفك الطيبا ؟
ناشدتك الله وكأس الطلا … ونشوة الحب وعهد الصبا
وغصة الذكرى وآلامها … وحرمة الماضي وما غيبا
لا تسأليني سر دائي فقد … أحال عمري خاطراً مرعبا
كم رصعت افقي نجوم المنى … ثم تهاوت كوكبا كوكبا
ماذا عليه إن يكن برقها … ككل برق قبله خلبا
الناس انسانان : من همه … ان يرتوي ذلاً وان يلعبا
وآخر يقضي عليه الحجى … والمجد ان يشقى وان يتعبا
ما قيمة الالقاب منصوبة … والظهر بالخزي قد احدودبا

وقال يناقش « مفتي عمان » الذي كان يلومه على إدمانه الخمر :

سكر الدهر فقل لي كيف أصحو ؟ … والندى يبخل والجود يشح
وأنا يا سيدي المفتي كما . . … قيل عني ، حيث ينحو الحب أنحو
فحياتي لا تسل عن كنهها … انما حان وألحان وصدح
وأماني شباب فاتها … في شبابي ، يا له مسكين ، نجح
وعثار الجد قد صيرها … عبرة خرساء هيهات تسح
فافتني يا شيخ هل بعد الذي … جاءكم عني عما بي ندح
وانا يا شيخ طراد هوى … كلما لح به الشوق يلح
سكر الدهر ولم يفطن الى … سكره حر أبي النفس قح
ضربوا الامثال بي عربدة … فلسكري عندهم متن وشرح
بعضهم يسكر للسكر وفي … الناس من يسكر يا شيخ ليصحو

* رئيس المحكمة .

في زمـان ليس للحـق بـه   ناصر ألا اخو جهـل ووقح
قد نذرت الصمت لما قبـل لي   ان صوت الحق في الدنيا أبح

وهذه مقاطع من خريدته الكبرى « ألحان الحان » :

عفى الصفا وانتقى من كوخ ندماني   واوشك الشك ان يودي بأيماني
اين الندامى ، مضوا كل لطيته   وخلفوني بهذا الكوخ «وحداني»
فـلا سمير ولا ساق ولا وتر   يشنف اليوم ، واويلاه ، آذاني
وليس لي ملجأ آوي اليـه اذا   تحكم الصادين الفـظ آذاني
وقـد تنكر لي اهلي وأنكرني   صحبي وأقرب من ادنيت اقصاني
فها كني كيتامى « الرّط » لا امل   وليس لي احد في الناس يرعاني
شربت كأساً ولولا انهم سكروا   بخمرتي وسقوني الصاب خلاني
لقلت يا ساق ، هلا والوفاء كما   ترى تنكّر ، هلا جدت بالثاني
سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكت حضائري واستباح الذئب قطعاني
فأن تكن منصفاً فاعذر اذا وقمت   عيناك فينا على مليون سكران
قالوا يعاقرها . قولوا ، علانية   اني اعاقرهـا في كل « دكان »
تساخف الدهر فالدنيا مهازلهـا   طفت على كل تدبير وحسبـان
فهل علي وجوف الدهر قد صفرت   يداه من كل احساس ووجدان
ان قلت يا ساق : هات الكأس مترعة   وقلت يا كأس : انت الحادب الحاني
يـا بائع الراح والدنيا مقايضة   بعني بـ«ردي اذن» بردا « بلاباني »*

عمان

سعد جمعة

لقاح الثقافات العربية

يتجه العالم اليوم في دنيا السياسة الى طريقة التكتل ، وهو يبحث في هذا السبيل عن اقل شبهة ارتباط لتحقيق التكتل المطلوب ، فالامم التي تقع على بحر كذا او حوض كذا من البحار او الانهار تريد ان تتخذ من هذا الاشتراك وسيلة من وسائل ربط الوشائج ، واحكام الصلات ، وان كانت هذه الوشائج تعد من اوهى الصلات او أقلها شأناً ، وقد تتوافر في بعض الامم وشائج اخرى اشد احكاماً ، واوثق ارتباطاً ، وحينئذ تقوم وحدتها على اساس متين راسخ ، وهذا ما نجده متوافراً في الامة العربية فهذه اللغة الواحدة التي تقرب بين الافكار والمفاهيم ، هذه اللغة جديرة الى جانب الروابط الاخرى — ان تجعل العالم العربي وحدة واحدة.

واذا كان عالم السياسة العربية قد تمخض عن الجامعة العربية لاستهداف وحدة سياسية ، فان الشعوب العربية التي بدأت تستيقظ قد عملت هي الاخرى ، بجهودها المنفردة ، على احكام روابط القربى بين الامة العربية وكانت الصحافة اقوى الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، وابعدها تأثيراً .

ولست الآن في معرض الحديث عن مدى نجاح الصحافة العربية في توجيه شعوب الضاد التوجيه الصحيح او ما اضطلعت به من اعباء في سبيلها ، او ما عساها ان حملته من نعرات عصبية ، او دعوات خاطئة من حيث تعلم او لا تعلم . لست في هذا المجال ، فان فقاعات السياسة لا تلبث ان تزول ، وان خلفت آثاراً في النفوس الا انني اقصد من وراء هذا الحديث ان اخلص الى الهدف الثقافي الذي تؤديه الصحافة فلا ريب ان الصحافة تقوم باداء غرض ثقافي فيما تنشر من ابحاث في الادب او العلم او الفن ، وفيما تعنى به من قصص او شعر ، وهنا يجدر بي ان اذكر القارىء ان الصحافة ذات لونين : اخبارية تعنى بالاخبار في الدرجة الاولى ، وتأتي الاهداف الثقافية عرضاً ، وثقافية تعنى بالادب او العلم وما يتصل بهما ، وتأتي السياسة فيها عرضاً .

ورغبة في الايجاز اقصر الحديث على الصحافة الادبية ، فقد اختصت بعض الصحف في مصر وفي غير مصر ، بالادب وما يمت اليه بصلة كمجلة الرسالة والكتاب في مصر ، ومجلة الاديب في لبنان ، فان مثل هذه الصحافة تقوم بدورها ، في تدعيم الوحدة العربية وايجاد تقارب فكري بين المثقفين في العالم العربي ، بل انها لتمثل هذه الوحدة بين صفحاتها ، فأنت تقرأ في المجلات الادبية المصرية لكتاب من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق كما تطالعك مجلة الاديب اللبنانية بفيض زاخر مانع من ابحاث الكتاب المصريين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين والكويتيين والبحرانيين ، الخ الى جانب ما تنشره لشعراء المهاجر من بديع الاغاريد ، والى جوار ما تقدمه لادبائها المحليين ، بل ان هذه المجلة اكثر المجلات العربية عناية بهذه الناحية ، فهي ملتقى الاقلام العربية القوية من شتى اقطار العروبة .

لقد اصبحت هذه المجلات واضرابها مدارس ثقافية ، جمع اساتيذها من الاقطار العربية جمعاً يقدمون عصارة ثقافية متحدة وهي وان اختلفت في طريقة الاداء والعرض الا انها تصب في نهر واحد هو الادب العربي ، او الثقافة العربية الموحدة . انها تقوم بدور الروافد الفياضة التي تسعف النهر الادبي .

وهنا يلذ لي ان التفت الى القاعدة التي ترتكز عليها الحضارات منذ ان عرف الانسان الحضارة ، وهي قاعدة التبادل الثقافي ، او اللقاح الثقافي ، فالادب العربي والحضارة العربية ما كانا ليتدرجا في النضج الى ما وصلا اليه ، لولا دخول الثقافة الفارسية ، والفكر اليوناني فقبس الادب سمة الخيال من الاول ، واكتسب عمق التفكير من الثاني . هذا في العصور السالفة . وفي العصور الحديثة ما كان الادب ليصل الى ما وصل اليه اليوم لولا عملية النقل والترجمة التي قام بها

— البقية في الصفحة ٧٢ —

* نسبة الى « عرق بلابـان » الشهير .

أنباء العالم في شهر

٢٦ يناير ١٩٥٠ – طلب المفوضون الحلفاء من المستشار ادنارد تعيين قناصل المان عامين في لندن وواشنطن وباريس .

٢٧ – وصل المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية الى القاهرة .

– الف السيد دي غاسبيري الوزارة الايطالية .

٢٨ – اعترفت حكومة الاتحاد السوفيتي بالجمهورية الاندونيسية .

٢٩ – غادر المستر بيفن القاهرة الى الاسكندرية عائداً الى انجلترا ولم يصدر بلاغ عما جرى من محادثات .

٣٠ – اعلنت نقابة العمال الشيوعيين بايطاليا ان العمال يرفضون تفريغ الاسلحة الواردة الى ايطاليا من امريكا .

– خف الحصار الصغير الذي فرضته السلطات الروسية على برلين .

٣١ – اصدر الرئيس ترومان امره بصنع القنبلة الهيدروجينية ومتابعة الابحاث الذرية .

– يتهم الاندونيسيون الهولانديين بتشجيع ثورة « جيش المسيح » وقد وقعت معركة على بعد ٣٠ كيلومتراً من العاصمة بين جيش الثوار وبين الجيش الحكومي .

اول فبراير ١٩٥٠ – وافقت الحكومة الصينية الشيوعية على تبادل العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا دون شرط .

– رفض سفير روسيا في باريس مذكرة الحكومة الفرنسية بالاحتجاج على اعتراف الاتحاد السوفياتي بحكومة ثوار فيتنام .

٢ – قدمت الحكومة العراقية استقالتها .

– اذاعت وزارة الخارجية الفرنسية انها استقبلت السفير السوفياتي وكررت عليه بشدة الاحتجاج على الاعتراف بحكومة هوشي منه في فيتنام .

٣ – اعلن ملك بريطانيا حل البرلمان وبذلك اعتبر يوم ٢٣ فبراير الموعد الرسمي للانتخابات ويدعى البرلمان للانعقاد في اول مارس .

٤ – غادر سالونيك آخر جندي بريطاني في اليونان ولن يبقى فيها سوى بعثة عسكرية صغيرة بناء على طلب اليونان .

– وافق البرلمان الايطالي على ارسال ٣ آلاف جندي وموظف ايطالي الى الصومال وقد عارض الشيوعيون والاشتراكيون ذلك .

٥ – الف السيد توفيق السويدي الوزارة العراقية .

٦ – اعلنت نظارة الخارجية الاميركية انه تقرر عقد موتمر اقليمي دبلوماسي اميركي بمصر لمتابعة البحث بشوءون الشرق الاوسط .

٧ – عدل المسيو بيدو رئيس الوزارة الفرنسية وزارته بعد انسحاب الوزراء الاشتراكيين منها .

٨ – اعترفت بريطانيا والولايات المتحدة بحكومات فيانام ولاوس وكامبوديا .

٩ – نشرت صحيفة « ناغليخ راندشار » الشيوعية نص الاوامر التي اصدرها رئيس دائرة البوليس في المنطقة الشرقية من برلين الى البوليس بالاستعداد لاحتلال جميع المدينة في الربيع القادم .

١٠ – صرح المستر ماكلوي المندوب السامي الاميركي في المانيا قائلاً : اعلن بصورة حازمة انهم لن يستطيعوا الاستيلاء على برلين، واعتقد ان برلين ستبقى في مكانها اول يونيو ونكون باقين فيها ايضاً .

١١ – اتهمت الدول الغربية الثلاث روسيا بالتدخل لعرقلة الشحونات من مناطق برلين الغربية الامر الذي يناقض الاتفاق المعقود بين الدول الاربع .

– اعلنت الحكومة الاميركية انها مستعدة لمنح اندونيسيا قرضاً قدره مائة مليون دولار .

١٣ – صرح كلايتون وكيل نظارة الخارجية الاميركية السابق ان التهديد بحرب عالمية جديدة يتأكد يوماً بعد يوم اذا لم تغير الولايات المتحدة سياستها الخارجية ، وقال بضرورة تأليف اتحاد حقيقي بين امم الاطلانطي .

١٤ – اعلنت وكالة تاس نبأ توقيع معاهدة صداقة بين روسيا والصين مدتها ٣٠ عاماً .

١٥ – بدأت في فرانكفورت مفاوضات لعقد معاهدة تجارية بين بريطانيا والجمهورية الاتحادية الالمانية .

١٦ – افتتح بالقاهرة موءتمر السفراء المصريين في الخارج بعد انتهاء محادثات الدبلوماسيين المصريين في البلاد العربية .

– أكد الرئيس ترومان انه يعتزم ارسال بعثة الى موسكو كي تبسط لستالين النوايا الاميركية

١٧ – لا تزال الحكومة الفرنسية ماضية في التدابير الزجرية ضد المحاولات التي يقوم بها الشيوعيون لمنع تفريغ الاسلحة الاميركية في الموانىء الفرنسية .

١٨ – اجتاز الشيوعيون الصينيون حدود الهند الصينية واحتلوا مخفرين فرنسيين .

٢٠ – اقترح احد النواب الاميركيين اتخاذ تدابير سريعة لانشاء عاصمة احتياطية تحت الارض يمكن اللجوء اليها في حالة حرب ذرية .

٢١ – قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع بلغاريا .

٢٢ – تقول « رويتر » ان وزير خارجية مصر صرح بان حكومته تدرس الآن امكان رفع قضيتها ضد بريطانيا الى هيئة الامم .

– تتمة المنشور في صفحة ٦٨ –

الرواد عن الادب الفرنسي والانجليزي . هذه قاعدة صحيحة لا يرقى اليها ريب ، ومن الخير للثقافة العربية اليوم ان تطبقها على وجه واسع بشكل داخلي ، اعني بذلك الاستفادة من الوان الادب العربي لا الاقتصار على لون واحد ، فقد قيل عن ادبنا الحجازي – مثلاً – انه ينهج النهج المهجري ، ثم قيل عنه انه يصطبغ بصبغة الادب المصري وما ادري ما عساه سيقال عنه في المستقبل ، وهذا عيب الاستقاء من مورد واحد ، فمن حق الادب على المتأدبين ان لا يحصروا الادب الواسع في معين واحد ، وامامهم ألوان من الآداب العربية ، فالى جانب الادب المصري الناضج ادب التفكير والبحث نجد الادب اللبناني ادب الخيال والعاطفة والادب العراقي أدب النصوع والعروبة الاصيلة ، من حقنا ان نأخذ من كل هذه الآداب ، لندعم ادبنا بعصارة مركزة من مجموعها ، وحينئذ نستطيع ان ندرك الركب في الغاية التي تجري اليها الآداب العربية لتصب في مصب الادب المتخذ .

« عن جريدة البلاد السعودية بمكة »

عبد العزيز الرفاعي